إلى القارئ

من المسائل الأدبية التى تفرض نفسها اليوم فى النوادى والمؤتمرات والدواوين الـرسمية وغير الـرسمية المعنية بشؤون الأدب والفكر وكثر الحـديث حولها فى الأوساط التونسية هذه الايام مسالة حيـاة الأديب نفسه ومنزلته فى المجتمع والعـلاقة بين وظيفته كمواطن مسؤول عن قوته وقوت ذويه ووظيفته كاديب مطالب بان ينتج ما تتوفر فيهالجودة والأصالة •

وازاء هذه القضية ذهب الناس مذهبين : ينادى بعضهم بوجوب توظيف الأدباء من حيث هم ادباء حتى يتفرغوا الى الانتاج وينصرفوااليه بكليتهم لا يشغلهم عنه شاغل معنوى او مادى ، كما هو الشان فى البلدان الاشتراكية ، ويتمسك البعض الآخر بمبدا الفصل التام بين حياة الأديب كمواطن وبين انتاجه كاديب حجتهم ان اروع الآثار الأدبية من اول الدهور الى اليوم لم تتوقف على ماكان مطلوبا من الدولة ان توفره للادباء من رغـد العيش بل ربما اوجدهـا ما كان يتاجج فى نفوس اصحابها من الم أو ياس اوفتور او نقمة وتمرد على المجتمعات الظالـمة •

ونحن نعتقد أن مبدأ التوظيف أو التفرغ يناقض مبدا الحـرية التى هى ضرورية للخلق الادبى ولا يمكن للشاعر او القصاص أن يجهز له ديـوان وان يطلب منه ان يقرض شعرا او يؤلف قصة او مسرحية لأنـه يكون اولا لا يتمتع بالجو المناسب للخلق الأدبى وهو من جنس الأعمال التى لا يمكن أن يقال لها كن فتكون ! ولانه ثانيا يخشى اذا هو ولج بابا حراما ان يقطع عنه مـورد عيشه •

الا أنه يمكن لنا فى تونس مع مراعاة مبدا حرية الأديب المقدسة والاقتصاد فى تطبيق قاعدة التفـرغ الاخذ بيد بعض ادبائنا المرموقين ممن جاهدوا فى سبيل الأدب واخلصوا له والتخفيف مما يرهق كاهلهم اليوم عند قيامهم بمهنة التعليم او الادارة وفسح المجالامامهم لا لينتجوا جديدا فحسب بل كذلك ليعيدوا النظر فيما أنتجوه سابقـا ولينظموه ويعدوه للطبع ، وهؤلاء اعـلام معروفون سواء فى تونس العاصمة او القيروان أو سوسة او صفاقس •

ثم ان تخصيص الجوائز القيمة فى شتى أنواع الأدب والفن مشجع كبير لادبائنا وما جائزة على البلهوان التى رصدتها بلدية تونس العاصمة الا دليل على ذلك • فهل تفكر كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار فى هذا الصدد فى رصد جوائزللمسرحية وللبحوث الأدبية او التاريخية أو للدواوين الشعرية ، انها تكون بذلك ساهمت مساهمة فعلية ناجعـة فى اعانة الأدبـاء على تجاوز مشاكلهم الخـاصة والتوفيق بين مختلف واجباتهم وتكون قد وفرت لهم مع ذلك الحـرية وعملت عملا صالحـا للثقافة القومية فى هذه البلاد •

واذا ما أخذ بيد أدبائنا ورصدت لهم الجوائز ذات القيمة فان البلاد تكون قد وضعتهم امام مسؤولياتهم التاريخية • ان الجوائز والاعانات مجرد تشجيع ، للادباء حق على الدولة فى توفيرها لهم ولكن للدولة والأمة حق عليهم فى ان ينتجوا انتاجا أصيلا عميقا مستلهما من واقع البلاد مستجيبا لما ينتظره الجيـل الصاعـد منهـم •

واذا عرف كل ما له وما عليه واضطلع بمسؤوليته فبشر تونس بنهضة ثقافية صحيحة •

الفكر

حول الوحدة الاقتصادية المغربية

بقلم : الطاهر قاسم

كان شهر افريل المنصرم شهر الوحدة الاقتصادية المغربية فقد عقدت اثناءه عدة ندوات والقيت خلاله عدة محاضرات تناول فيها المسؤولون وغير المسؤولين على اختلاف مستوياتهم الحديث حول الاسس التى يمكن ان تنبنى عليها الوحدة الاقتصادية بين مختلف اقطار المغرب العربى ، وقد كانت اول بادرة لذلك الندوة التى نظمها طلبة جامعة المغرب العربى اولئك الذين ما انفكوا يحاولون حمل شعوبهم على سبق الاحداث والتطلع الى مستقبل افضل بحماس متدفق وعزيمة صادقة ، اولئك الذين بقوا محافظين على شخصيتهم القومية متمسكين بالمبادىء المستوحاة من واقعهم القومى والذين ما فتئوا يسخرون مواهبهم وتكوينهم على اختلاف المصادر والمشارب لخدمة اوطانهم .

ومما امتازت به تلك الندوة هى روح الجد والنزاهة التى اتسمت بها سائر الآراء والاحكام والرغبة الصادقة فى الخروج بنتائج ايجابية وحلول عملية وخاصة الصراحة فى مواجهة المشاكل وتحليلها والوضوح فى بيانها وتعليلها مما فتح المجال للمناقشة الحرة والجدال النزيه من كل العقد والمركبات .

فى مثل ذلك الجو تساءل الحاضرون هل ان الوحدة التى نريدها هى تلك التى تتجسم ـ ان اعتبرنا ذلك تجسيما ـ فى الاقوال والتصريحات ، فى التصفيق والهتافات ، هل هى التى تتجسم فى رفع الاعلام الثلاثة او الاربعة فى بعض المناسبات او باختصار تلك التى لا تتجاوز المظاهر الزائفة ام هى وحدة حقيقية واقعية تبنى على اسس ثابتة وتلمس فى الافعال والاعمال ؟

لا شك ان تلك المظاهر تصحبها جملة من المشاعر والاحاسيس وترافقها جملة من الاحلام والآمال العريضة التى غذاها تعاقب الاحداث وتشابهها على ممر الاحقاب والاجيال لكنها فى معظمها غامضة شأنها فى ذلك شأن الاحاسيس التى لا نستطيع لها حصرا ولا تقديرا والتى تتلاشى كلما حاولنا ضبطها والاتكال عليها ، على انها تمثل رصيدا يمكن ان يعد ركنا اساسيا فى توحيد الجماهير الشعبية والسير بها نحو الوحدة الحقيقية ، فالشعور بالوحدة عند هذه الجماهير مصدره غالبا انتسابها الى العروبة لغة واصلا والى الاسلام دينا وحضارة ، لكن ينبغى هنا ان اردنا ان تصدر المساعى الى الوحدة عن الجد وان يكتب لها النجاح والدوام ، ينبغى ان نتساءل عن مدى تعلق شعوب افريقيا الشمالية باسلامها وعروبتها وبالتالى عن مدى تاثير ذلك الرصيد العاطفى فى بناء الوحدة ؟ ولعل الشك فى اثر هذه العواطف ونجاعتها هو

الذى يحدو بنـا الى تجـاوزها للبحث عن اسس اقوى وامتن . ولئن كانت مقاومة المستعمر قد غذت تلك العواطف وجعلت شعوب شمال افريقيا غالبا ما تتآزر وتتعاون فان الاستعمار ذاته هو منشأ العراقيل فى تحقيق الوحدة نظرا للسياسة المختلفة التى سلكها المستعمر بهذا البلد او ذاك او لمستوى التطور الفكرى والاجتماعى الذى تركه فى بلدان المغرب العربى او للمناهج التى توخاهـا الساسة فى كفاحهم ضد الاستعمار والطرق التى عالجـوا بهـا الاوضاع الموروثة عن الاستعمار وما قبله بعد تحقيق الاستقلال السياسى ، فان كانت بين بلدان المغرب العربى وشعوبها وجوه للتقارب عديدة لا ينبغى ان نتغافـل عن وجوه التبـاين التى تتمثل فى النظم السياسية والاوضـاع الاجتماعية ومستوى الانسجام بين القادة والشعب .

والى جـانب هذا الرصيد العاطفى المـوروث تولدت مشاعر جـديدة فى نفوس شعوب شمال افريقيا منذ عهد ليس ببعيد تتمثل فى شعورها بالتخلف ورغبتها الجامحة فى الخروج منه لتحقيق الرفاهية والازدهار ولئن كـان هذا الشعور متفاوتا من بلد الى آخر فان القوى الصاعدة ـ قوى الشباب والطبقات الكادحة من شأنها ان تغذى ذلك الشعور وان تنميه حتى ينتبه المسؤولون ـ حيث لم ينتبهوا الى الرسالة الجديدة الملقاة على كواهلهم الا وهى تحقيق العدالة الاجتماعية وتوفير اسباب الحياة الكريمة وتلك اسمى رسالة يقوم بها المـرء لفائدة المجموعة .

ويمكن ان يكـون هذا الشعور المشترك بالتخلف والـرغبة المشتركة فى القضاء عليه رصيدا نفيسا لبناء الوحدة المغربية على اسس جدية ولا شك ان اختيار الاسس الاقتصادية لتحقيق تلك الـوحدة كموضوع بحث فى ملتقى جامعة طلبة المغرب العربى يتجاوب وذلك الشعور ويتماشى وتلك الرغبة اذ الامر هنا يتعلق بحقائق ملموسة يمكن تقديرها وتوجيهها .

وقد يزداد هذا الشعور قوة ورسوخا لنهضة الشعوب ويقظتها فى الداخل ولتطور الاحداث السياسية والاقتصادية فى الخارج فمن ناحية شعوب تصبو الى الرفاهية والعدالة الاجتماعية وتـريد الالتحاق بالدول المتقدمـة بتوفير انتاجها وتنمية صادراتها ومن ناحية كتل اقتصادية قوية تريد خنقها تلك حقائق تجابه اقطار المغرب العربى الاربعة ولا مفر لها من التفكير فى حلها وقد اتضح انها لا تستطيع ذلك الا اذا تكتلت وتوحدت ، لكن على اى صعيد يمكن ان تتحقق تلك الوحدة خاصة والاحداث تسير سيرا حثيثا فى غير انتظار ولا تـأن .

فمن المسلم به ان الحالة السياسية داخـل كل قطر وان العلاقـات بين الاقطار الاربعة والحالة على ما هى عليه الآن غير مـؤاتية لتحقيق الـوحدة ان اردنا ان تكون عميقة الجذور ثابتة الاركان ، وبقى اذا النظر فى الوحدة عـلى

صعيد اقتصادى تلك الوحدة التى يفرضها الضغط الخارجى من جهة وتمليها المصلحة القومية من جهة اخرى ·

من المعلوم ان دول المغرب العربى تتلقى مساعدات خارجية بفضل ما تبرمه من اتفاقيات مع الدول المتقدمة وان اهمية تلك المساعدات فى ازدياد متواصل الا ان هذه المساعدات وحدها لن تضمن للدول المغربية مواصلة السير نحو التنمية الاقتصادية والاجتماعية ولن يتم لها ذلك الا بتنمية مواردها الخاصة وذلك بفضل ما تصدره من المنتجات الزراعية والمواد الاولية خاصة وان اوضاع انتاجها الحالية تفرض عليها الاتجاه نحو السوق العالمية ·

لكن الاتجاهات الجديدة بهذه السوق تتنافى وحاجات البلدان المتخلفة بما فيها بلدان المغرب العربى التى لا بد لها ان ارادت المحافظة على مستواها الحالى من الاستهلاك ـ رغم ما يتصف به من ضعف بتزايد عدد السكان المتواصل ـ لا بد لها من تنمية مواردها المتأتية من التصدير اضف الى ذلك العقبات الناشئة عن ضرورة المواد الاساسية لتحقيق النهضة الاقتصادية ولتصنيع البلاد بسرعة فعوض ان تنمو موارد التصدير باستمرار لتسديد هذه الحاجات الجديدة نلاحظ انها فى استقرار ان لم تكن فى انخفاض متواصل ولا ادل على ذلك من هذه الارقام التى تبين ان موارد التصدير بالنسبة لسبعة وخمسين بلدا متخلفا قد انخفضت نوعا ما بين 1957 و 1960 ، فقد بلغت موارد التصدير 13،42 مليار من الدولارات سنة 1957 و 13،28 مليار من الدولارات سنة 1960 اما نصيب البلدان المتخلفة فى التجارة الدولية فلا يزال هو ايضا فى انخفاض اذ بينما كان يبلغ 31،5 % سنة 1953 اصبح لا يبلغ الا 24،7 % سنة 1960 هذا مع العلم بان نصيب البلدان المصنعة قد ازداد بنسبة مقابلة ·

ويمكن ان نذكر بالاضافة الى ذلك ان هذه البلدان قد اخذت منذ سنوات قليلة تزاحم البلدان المتخلفة فى تصدير المواد الاولية حتى ان نسبة صادراتها بين 1953 و 1960 قد بلغت 57 % بينما لم تبلغ صادرات البلدان المتخلفة الا 15 % وهكذا فان ما تصدره البلدان المتخلفة من المواد الاولية يبدو ضئيلا اذا قارناه بصادرات البلدان النامية ·

ثم اذا نحن قارنا بين تطور اثمان المواد الاولية التى يتألف منها المورد الاصلى للبلدان المتخلفة تلك الاثمان التى تفرضها الدول النامية فى السوق الدولية وتطور اثمان المواد المصنوعة التى تكاد تنفرد بصنعها البلدان المتقدمة نلاحظ ان اثمان المواد الاولية قد انخفضت بنسبة 5،5 % بين 1953 و 1958 بينما ازدادت اثمان المواد المصنوعة بنسبة 7 % خلال نفس الفترة ·

وعلاوة على ذلك فان الاتجاه الجديد بالبلدان المصنعة يرمى الى حصر المبادلات بينها والى خلق كتل اقتصادية قوية من ذلك السوق الاوروبية المشتركة التى ستزيد الحالة تفاقما والوضع خطورة خاصة بالنسبة للاقطار

المغربية ان هى لم تسرع فى اتخاذ التدابير الناجعة ولم تتكل وتتعاون لمجابهة عمليات الخنق والحصار ذلك ان الجزء الاوفر من صادرات البلدان المغربية الزراعية منها والمنجمية يوجه الى اوروبا الغربية التى لم تنفك فلاحتها تزدهر بفضل ما اتخذته من وسائل وقائية حتى ان التنمية الزراعية خلال السنوات الاخيرة قد تضاعفت مرتين بالنظر الى تزايد عدد السكان وارتفاع مستوى الاستهلاك ، ثم ان الصناعة الاوروبية لا تزال تتحسن وسائلها وتتقن مصنوعاتها ، ومن شأن هذه الاتجاهات الاقتصادية الجديدة باوروبا الرامية الى تحقيق الاكتفاء الذاتي فى ميدان التغذية وما يمكن ان ينجر عن احداث تعريفة قمرقية مشتركة بين الاقطار الستة من تأثير على الاثمان ومن امتيازات وقائية ان تعرقل بصفة غير مباشرة تطور البلدان المتخلفة والمغربية منها على الاخص ان هى لم تراجع اوضاعها الاقتصادية ولم تدخل التعديلات والتحويرات التى يقتضيها الانخفاض المتواصل فى الصادرات الموجهة الى اروبا ولم تتعاون لمجابهة المنافسة الاوروبية ولمواجهة التيارات الاقتصادية المتجددة بتنويع انتاجها الزراعى والسير قدما نحو التصنيع ، لكن كما قال الاستاذ « بابى » (U. Papi) فى مقال له حول السوق الاوروبية المشتركة فان التدابير الوقائية المزمع اتخاذها فى نطاق معاهدة روما لا تبعث على التشاؤم المطلق بمستقبل المبادلات بين بلدان المجموعة الاقتصادية الاوروبية وغيرها من البلدان ، على ان هذا الوضع الجديد باوروبا يفرض على الاقطار المغربية اتخاذ مواقف جديدة لما له من مساس بحاضر الحياة الاقتصادية المغربية وخاصة بمستقبلها .

وان نحن نظرنا فى الاوضاع الاقتصادية بالاقطار المغربية الاربعة لاحظنا بمزيد الاسف والاسى انها تقابل التكتل بالتفرق والاشتراك بالانفراد وانها لم تبذل اى سعي جدى لتنسيق سياستها الاقتصادية سواء أكان ذلك فى مبادلاتها الخارجية مع بعضها بعض او مع غيرها من البلدان الاجنبية او فى مشاريعها وانجازاتها الداخلية فمن ذلك ان تونس لها اتفاقياتها الخاصة مع المغرب الاقصى ومع المملكة الليبية من ناحية وان المغرب له اتفاقياته الخاصة مع ليبيا وتونس من ناحية اخرى ومن ذلك ان البلد الاجنبى الواحد له اتفاقياته مع كل قطر مغربى على حدة مما يجعل البلدان الاجنبية هى التى تستفيد من المنافسة القائمة بين الاقطار المغربية من جراء تشابه صادراتها ووارداتها وامكانياتها وحاجاتها .

اما فى الداخل فان نفس المشاريع او تكاد تبعث بكل من اقطار المغرب العربى فهذا مصنع للسكر يقام بباجة ومضنع مقابل له سيقام بسيدى سليمان بالمغرب وهذا معمل لصنع الفولاذ بالمغرب الاقصى وآخر سيحدث بتونس الى غير ذلك من الامثلة العديدة فى ميادين اخرى ، فان كانت هذه الجهود محمودة فى حد ذاتها فانها لو نسقت لكان كسبها اوفر وفائدتها اعم

ولأدت الى الاقتصاد فى تجهيز ناحية للانصراف الى تجهيز اخرى والى الاقتصاد فى اثمان الكلفة ، وهكذا فان الوحدة الاقتصادية المغربية لا يحتمها الضغط الاقتصادى الخارجي فحسب بل المصلحة القومية ايضا اذا كانت غاية المسؤولين فى الاقطار الاربعة هى حقا الألتحاق السريع بالدول المتقدمة وتحقيق الازدهار والرفاهية •

لكن مما يزيد الوحدة تأكدا خطر مواصلة الجهود والخطوات المنفردة فالشقة بين الاقطار المغربية تزداد كل يوم اتساعا لان اتفاقيات التعاون اصبحت تعقد لآماد اطول فأطول ولان بعض الدول المغربية قد اصبحت عضوا فى مجموعة اقتصادية لم يشارك فيها البعض الآخر واخص بالذكر المغرب الاقصى عضو مجموعة الدار البيضاء ومعلوم انه قد تم خلال شهر افريل 1962 توقيع عدة اتفاقيات اقتصادية بين رؤساء وفود البلدان الستة اعضاء تلك المجموعة واهم اتفاق هو احداث سوق افريقية مشتركة خلال السنوات الخمس المقبلة وقد تقرر خاصة احداث منطقة تجارية حرة تلغى فيها العراقيل الادارية والحواجز القمرقية ومن بين الاتفاقيات الموقع عليها نذكر اتفاقا يتعلق بوحدة الدفوعات الافريقية واتفاقا يرمى الى تأسيس بنك افريقى للتنمية ، ومثل هذه الاتفاقيات وغيرها التى يوقعها احد الاقطار المغربية دون سواه من شأنها ان تبعد ساعة الوحدة لما تنطوى عليه من التزامات وتعهدات ، واذا اضفنا الى ذلك ما تم رسمه فى الداخل من تخاطيط وما شرع فى تنفيذه من مشاريع علمنا ان الوحدة ينبغى ان تكون عاجلة او لا تكون •

ولعل ابرز ما تمخضت عنه ندوة جامعة طلبة المغرب العربى هو الشعور بضرورة تحقيق الوحدة الاقتصادية بين الاقطار المغربية والتعجيل بذلك ولو فى شكل نواة تقام حولها وحدات اقتصادية مشتركة ومواقف تجارية موحدة وترمى الى التخصص قصد التخفيف من التنافس وتحقيق نوع من التكامل بين الاقطار الاربعة ، ولعل اسمى ما اسفرت عنه تلك الندوة على اختلاف من شاركوا فيها اجماعهم على ان تهدف الوحدة الاقتصادية الى تحقيق الاشتراكية اى الى النهضة بالانسان ورفع مستواه وتمكينه من اسباب الحياة اللائقة بالكرامة البشرية ، وان فى ذلك لدليلا على ما فى النفوس من الايمان بمستقبل افضل ومن عزيمة صادقة على تحقيق العدالة الاجتماعية مما يبشر بان ساعة التنسيق والانسجام بين كافة اقطار المغرب غير بعيدة ، وبان موعد الوحدة الحقيقية الدائمة ليس ببعيد •

الطاهر قاسم

يـوم الشهـــــــــداء

شعـر : الشاذلي عطاء الله

قيلت في الاحتفال بذكرى الشهـداء يوم 9 افريل الماضي بساحة الاستقلال بالقيروان وقد اشار فيها الشاعر الى رجوع رفات المجاهدين الذين مـاتوا في ديار الغربة واحتفل بدفنهم في ذلك اليوم الاغر

أَرَجٌ ما نشمّه أم ثنـاء عطّر الكون واحتواه الفضاءُ
واحتفال يُقيمُهُ الشعب كالاعيـــاد أم واجبٌ دعا ووفاءُ
وهتافٌ كأنّه من زغـاريد قِيـــان أثـــارهنّ الـغنـاءَ
وطقوس تُقام في كلّ عيد صلوات يدعو بها الأَتقياء
أَم صدى ذلك الكفاح وصِيتٌ بقيت بيننـا لـه اصـداء
وسطور من سفر تاريخ شعبٍ يتغنّـى بـآيها الشّعـراء
فتصيخُ الدنيا بأسماعها اللـــهفى الى ما يخلّد الخطباء
كأغاني الفردوس والنغم المخضلّ
والفجـر دبَّ فيـه الضيـاء
وحفيف الأَوراق دغدغها الـريّحُ وهزّت اعطافَها الانداء
رحديثُ التاريخ في مسمع الـدهر وقد أنصتت إليه السماء
ذكرياتٌ من عطرها ينفح المجـد ومن ذيلهـا تفوح الدّماء
فتُغذّي أنفاسَنا بشذى الخلـد وتزكو بعرفها الرَّمْضَاءُ
أيُّ مجـدٍ صروحُه لَبنَات من كبود رَسَا عليها البناء

ونفوس لم تستسغ علقم الذلّ فعاشت في ظلّها الكبرياءُ
ودماء كأنّها رشحات المسك منها تعطّر الخُلَصَاء
وشعاع من فجر ابريل لم يلبث طويلا حتى أطلت ذكاء
فإذا الارض والسماء أهازيج عِذاب وفرحة وهناء
واذا كلّ تونسيّ وفي عرنينه الصّلب همّةٌ شمّاءُ
وإذا رَفْرَفٌ من النّور يعلو للسماوات فوقه الشّهداء
أي ذكرى يُعيدها الشعب في تاسع أبريل يومَ حُمّ القضاء
أيّ يوم كأنه العيد في الايّام او انّه لها طغْرَاءُ
يتغنّى الشبابُ في يومه الفيّاض بالبشرحين يحلو الغناء
وتجلّى اللوحات في الأُطرِ الغرّا وتُتْلى على الملا الاسماءُ
مرح كلّه وبشر وتجديد لعهد وَأَمَلٌ ورَجَاء
حرم الحزن فيه حتى كأنّ اليوم عُرْسٌ يُعاب فيه البكاءُ
ولِمَ الحُزْنُ والحياة صراع وانتهاء الاشواط فيها ابتداء
قد درسنا الكفاح وجها لوجه منذ ابريل حين فاض الاناء
وصبرنا فلم يفدنا اصطبار وعفونا فعاودوا وأساءوا
ثم ثُرنا على الهضيمة نَكْويها جباها قد غاض فيها الحياء
فإذا تونس مطهّرة الذيل وأرض كريمة غنّاء
وإذا شعبها العظيم على العهد مقيم يصان فيه الإباء
لا يسيغ الهوانَ حتّى ولو طاب ظلالا وراق فيه الهواء

وحرام علـى الكريم حياة الـــــذلّ والموتُ للعزيـــز بقـاء
هكذا قالت الحياة وهذي سنّةُ الكون باركتها السّماء
أيّها الشعب! كم لك اليومَ مـــــن أيام مجد لحسنهنّ رواء
سجّل الدّهر للبطولات فيها صحفـا لاتَشينُها الخُيَلاء
لم تكن نزوة لتخمد فيها جذوة النّار إذ تشقّ الدّلاء
بل شواظ من العقيـــدة مشبـــــوب وعزم لاينثني ومَضاء
وصمـود كالطّود في ملتـــــقى التيّار لاترتقيه ريح رخاء
هكذا التونسي لم يك إلاّ نـادر النـدّ ماله نظـراء
يتحَلّى من الخلال بـأعلى مستوى لاينال منه الـريّاء
رائِع كلّما عرته الرّزايا رائِعٌ أينمـا رماهُ البـلاء
رائِعٌ في الوفاء سِلْمًا وحربا رائعٌ يوم يُبعث الشّهـداء
هاهو اليوم فوق اجنحة النسر عليــه من الجـلال لـواء
وعلى الماء عرشـه يتهادى كالمسيح رنت اليه السّماء
حنّ للأم وهي تحتضن الابناء وصدّى في مسمعيه النّداء
فأجابت جوانحٌ لم يزل فيها رفيفٌ رغم الرّدى والدّماء
يابلادي لبَّيك من كل ماابقى فنائي: لبّيك يـا خضراء
واستطـاع الحنان أن يجمع الأفلاذ حتّى يَستأنس الغربـاء
وبهذا تجمّع الشمل وافترّ مـــــن الام ثغرهـا الـوضّـاء
تونس! يا صدى الأمومة في كـــــلّ فؤاد يقيم فيه الولاء

عبقت روحك الزكيّة كالزّهر   وشعّت كما يشعّ الضياء
لك ارواحنا وللتّربة العفراء اخلاصنا وهذي الدّماء
قد صنعت الأَجيالَ في مصنع الدّهر فعاشت ولم ينلها الفناء
وبنيت الاهرام لامن صخور   تتفيّا ظلالها الصحراء
إنّما اخترت ان تكون عقولا   تتبارى وتبتني ما تشاء
وكتبت التّاريخ لا في سجلّ   أو صكوكا يأتي عليها العفاء
بل كشوفا أعدّها العام للدّنيا ثمارا يطيب منها الغذاء
لم يكن امسك البعيد هو التّاريخ يعنو لوجهه العظماء
بل لك اليوم من مواقفك الغرا   امتداد لما مضى وانتماء
ولك اليوم في شبابك ينبوع   ثرّي وقوة ونماء
ولك المجد كلّه جمعته   لك كفّ نقيّة بيضاء
وبنته على ذرى شامخات   عزمات وهمة قعساء
رفعتها يد الحبيب واعلت   صرحها فاستوى عليها البناء
فاستظلّي بركنه فلنعم الرّكن   ما فيه جنّة ووقاء
والعلا والفخار للوطن الغالي   وللخلد ايّها الشّهداء
وليعش قائد الرّعيل المفدّى   ولتعش تونس ويعلُ اللواء

الشاذلي عطاء الله

الفكر
تقدم لقرائها

محمد رشاد الحمزاوى

الفائز بجائزة علي البلهوان لهذه السنة



ولد محمد رشاد الحمزاوى فى 12 مارس 1934 بفواحى قرية تالة التى جرت فيها حوادث قصته (بودودة مات) • وتلقى تعلمه الابتدائى فى المدرسة الابتدائية والكتاب بتالة ثم انتقل الى الفرع الصادقى وزاول تعلمه الثانوى بالمدرسة الصادقية وبعد نجاحه فى الباكالوريا بجزئيها بدا تعلمه العالى فى معهد الدراسات العليا بتونس (شعبة الآداب) وقصد هولاندة سنة 1957 للعمل بمنظمة الطلاب العالمية الموجودة بليدن وذلك عن طريق الاتحاد العام لطلبة تونس الذى كان مكلفا فيه بالصحافة ومسؤولا على «الوعى الطالبى» (بالعربية) و « الطالب التونسى » (بالفرنسية) وقد اهله الى ذلك ما حصل عليه من تجربة عندما كان منتسبا الى أسرة صفحة « الشباب » بجريدة الصباح طيلة سنوات 1952 ـ 1953 ـ 1954 وكذلك اشتغاله فى جريدة العمل •

والى جانب عمله فى منظمة الطلاب العالمية فقد واصل بنجاح تعلمه العالى ونال الاجازة فى الآداب من جامعة باريس كما تحصل على ديبلوم فى الدراسات العالية وكان موضوعه « المجمع العلمى العربى بدمشق ومشكل ترقية اللغة العربية » وقد نشرت مجلة الفكر فصولا من هذا البحث فى اعدادها 3 و 4 و 5 (ديسمبر 1960 ـ جانفى 1961 ـ فيفرى 1961)

وبعد أن شارك فى تنظيم حضيرة الشغل الطالبية العالمية التى شيدت مدرسة ساقية سيدى يوسف فارق المنظمة الطالبية العالمية سنة 1960 واتصل بجامعة ليدن واشتغل بمكتبتها الشرقية وهو الآن بصدد الانتهاء من دكتوراه الدولة فى اللغة

أما اهتمامه بالقصة فيعود الى سنة 1959 حيث نشرت له مجلة الفكر أول انتاج قصصى : « ترننو » وذلك فى عددها ـ 8 ماى 1959 السنة الرابعة • ونقل هذه القصة الى الفرنسية المرحوم الدكتور فريد غازى ونشرت فى (مجلة الشرق ـ أوريان سنة 1959) واعادت مجلة (فائزة) نشرها فى عددها السادس أفريل 1960 •

ونشرت له بعد ذلك ثلاث قصص قصيرة اخرى

- « تعيش وتربى الريش » مجلة التجديد العدد 5 ـ 6 ـ جوان ـ جويلية 1961
- « باب العرش » مجلة الفكر ـ جانفى 1962 ـ العدد 4
- « حياة » مجلة الفكر ـ ماى 1962 ـ العدد 8

ولقد سالناه بعض الايضاحات عن قصته (بودودة مات) وعن مشاريعه فقال :

« كانت قصة بودودة فى اولها موضوع قصة قصيرة لكنى طولتها فاضفت اليها « مات » واضفت أبوابا وسطورا وآراء ••• وارسلت بها الى البلدية وهى كغيرها من قصصى قد كتبت فى ايام الاحد عندما تكفهر السماء وتنزل الامطار فتنزل السماء على راسى فاتذكر بلادى وشمسها اللامعة ووجوهها الضاحكة وآلامها وآمالها وجهادها لقد كنت اهتم بالقصة يوم الاحد لأنى لا استطيع أن افعل سوى ذلك . فالايام الاخرى ترانى مشغولا بالدرس والتدريس

اما مشاريعى فتنحصر قبل كل شىء فى الانتهاء من دراستى والرجوع الى تونس الخضراء واخوانى لكنى انوى كتابة قصص اخرى فى ايام الآحاد • وانى افكر فى كتابة قصة طويلة اخرى ـ ان سمح الوقت والصحة أضف الى ذلك بعدى عن الوطن ومظاهر حياته وسكانه ومشاكلهم • فلا يخفى أن مواد القصة الخام موجودة بتونس • فلا بد من عودة الى الوطن لاجدد نظرتى وارهف حسى والاحظ وإن ساعدنى الحظ فانى أنوى أيضا الاهتمام بالمسرح ولكن تلك كلها مشاريع ارجو ان يحقق منها القليل •»

هذا وقد راينا ان ننشر ـ بموافقة المؤلف ـ الفصل الاول من هذه القصة تعريفا لها مع الأمل فى ان تنشر فى اقرب الاوقات وتثرى مكتبة القصص التونسى •

ويجد القارىء فى ما يلى الجزء الاول من الفصل الاول لقصة « بودودة مات » وسوف ننشر الجزء الثانى فى عددنا القادم •

« بــــودودة مـــــات »

قصة : بقلم محمد رشاد الحمزاوى

غمس الطالب قلمه القصبى فى المدواة ثم صرخ

ـ انعم يا سيدى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون ...

فنظر اليه المؤدب متمتما واجاب صائحا.

ـ تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا .

فردد الطالب الآية واسرع فى كتابتها حتى لا تهرب منه بينما نظر المؤدب الى طفل صغير قريب منه وهجى :

ـ ن ... صد ... ر ... نصر ... ه ... ن ... من ... نصر من

فحاكاه الطفل ولم يستمر المؤدب فى التهجئة لانه لاحظ ان كثيرا من الطلاب يتكاسلون ذلك الصباح فرفع عصاه وهوى بها على طفلين شغلهما حديث لذيذ . فثارت ضجة وتعالت الاصوات وانكب كل طالب على لوحه مبرهنا على حرصه جادا فى حفظه . فقام المؤدب ورمى بلحفته على كتفه ومضى يخبط الطلاب دون تمييز ويرفس برجليه الاطفال والالواح فكثرت الغوغاء والبكاء وارتفعت الالواح اتراسا تحمى الاجسام من صواعق العصا السفرجلية التى اقتطفها المؤدب خصيصا من مختار سفرجل بستان النونى الموجود قرب عين البلدة الكبرى . فكانت تصفر فوق الرؤوس وكان المؤدب يصول ويجول كالفارس الهمام يسب ويلعن الامهات والاباء والنسب والحسب . فكلما ارتفعت يد سى محمد النبىء ارتفعت جبته كاشفة عن عرقوبه الضعيف الهزيل وركبته المحشنة .

كان محمود جالسا قرب سارية تحميه من الضربات . اراد ان يجنب نفسه واصحابه مزيدا من الضرب اللاكع ففكر فى حيلة ليلفت بها انتباه المؤدب فيهدا لكنه لم يفز بها . نظر حوله باحثا فلم يظهر له شىء فى جامع سيدى عبد القادر سوى السوارى وتابوت قديم واعلام ملقاة فى احدى الزوايا قرب الجدران الشمالية التى اصابتها الرطوبة فكانت جرباء تهدد بالانهيار فى كل حين . اراد محمود ان ينادى بانهيار الحائط لكنه تراجع متحاشيا عاقبة كذبته. احتار فى امره لكنه هدأ بغتة لقد فاز بحيلته : سيصيح بكل ما اوتى من قـوة

ـ أنعم ، يا سيدى ! طابت وهابت وكيف ناكلها ؟

متمنيا ان يجيبه المؤدب كعادته

ـ فخذني وصدر نفسك وجنح الضيف ٠

ثم يضحك بعدها ويضحك معه الطلاب ٠ انها جملة من قصة المؤدب المفضلة يحكيها في اليوم ثلاث مرات وهي تروى قدوم ضيف على مؤدب كان قد كلف احد تلامذته الاذكياء الفطناء بطبخ دجاجة ٠ فلما طهيت لم يعرف الطفل ما يفعل بها ٠ فأخذ لوحته وجلس قرب الدجاجة ونادى كأنه يكتب لوحه

ـ أنعم يا سيدي ! طابت وهابت وكيف نأكلها ؟

فأجابه المؤدب ان اعطني الفخذ وكل الصدر واعط الجناح للضيف ٠

فبينما كان محمود يتأهب ويتشجع للاصداع بجملته آملا فيها النجاة توقف المؤدب من تلقاء نفسه والعرق يتصبب من جبينه كأنه كان يصارع بغلا فحلا ٠ فنظر الى الطريق قليلا ثم عاد لاهثا الى مكانه تحت السارية الوسطى ليجلس على نطع تكدست عليه حقة « نفة » ومصحف قرآن تبعثرت اوراقه الصفراء واذناب عصى واستوت بالقرب منه فلقة ذات حبل غليظ متين ٠

تنهد محمود مستبشرا ثم نظر الى الباب تجاه المدرج فظهر له رأس كبير معمم تبعته جثة متثاقلة متمايلة تموج في جبة حمراء فضفاضة ٠ فاقترب القادم شيئا فشيئا من المؤدب والاطفال . انه الشيخ ابن زيدون احد قدماء محاربي القرية . استغرب محمود من قدومه اذ انه لا يتردد عادة على الكتاب ولا على الاماكن الاخرى لان جراحه كادت تجعل منه انسانا مقعدا . فكان يجلس بمقهى شقرون قرب منزله ٠ فيظل جالسا في الظل يقلب رأسه الكبير ويمر باستمرار يده على وجهه الاسمر المتجعد الذي يعكس المغامرات والالام التي جابهها ٠ فكان يبرم «شنبات» شاربين ابيضين طويلين يانعين يستطيع الطائر ان يقع عليهما دون عناء . فكان الناس يلتفون حوله يستمعون الى لذيذ حديثه عن اسفاره في البحر والبر وعن اهوال الحرب وبلاد العجم ٠ فكان محمود وغيره يتلذذون حديثه لذة خاصة عندما يحكي عن العرب الآخرين الذين يسكنون الشرق البعيد ٠ فيقول انهم يتكلمون لغتنا ويلبسون تقريبا لباسنا ويعرفون الله والرسول مثلنا ويحبوننا كما نحبهم. فينظر الحاضرون الى بعضهم مستغربين مستعجبين فرحين فرحة من يجد نفسه في نفس غيره رغم بعيد المسافة ٠ فيتوقف ابن زيدون حينا كأنه يراجع ذاكرته ثم يضيف

ـ ايقولوا وديني اميه عوض اعطيني شريبة ماء ٠ عمرهم ما ينطقوا بالقاف ٠ ايقولوا اعطيني الم عوض اعطيني قلم ٠

فيضحك الحاضرون وينظرون الى الشيخ ابن احمد رفيق ابن زيدون الملازم له ليل نهـار فيقـول :

ـ انت زرت الدنيا كلها الا الحج يا ابن زيدون ٠ على كل حال لا تخاف ولا تحزن . الناس ايقولوا امشي يا زمان وارجع يا زمان وتصبح بلاد الحج القيروان .

ويتلهف جميع المستمعين عند ما يروي ابن زيدون كيف فقد وساما من أوسمته العسكرية • لقد كانت دمشق ثائرة على حكم الانتداب تكاثرت فيها المظاهرات والقتلى ـ فكلف يوما بحفظ الامن امام جامع الامويين وسلمت له فرقة تتركب من خمسين جنديا تونسيا • فما كاد يصل امام الجامع حتى أطلت عليه مظاهرة شعبية فيها الاف الناس • فتقدم وتأخر حتى بلغ بردى ثم رفع قبعته ونظر الى بندقيته حتى فاجأه ضابط فرنسي وأمره باطلاق النار • تأهب لذلك ورفع يده لكن الجماهير نادت

ـ لا ! لا ! يا مغاربه اخوان ! يا مغاربه عرب اخوان !

فارتعشت يده وتـأخر رغم انفـه ثم دار حول نفسه واسدل يده امرا جنوده بالانسحاب امام الجماهير التي ادركته وفرقته فرفعتهم على الاكتاف ورددت مترنمة

ـ اخوان يا عرب اخوان ولو طال الزمان . اخوان ! اخوان ! اخوان !

فلما عاد الى الثكنة رمي في السجن مع رجاله وعزل من منصبه وحرم من وسام جديد كان على قاب قوسين او ادنى من الحصول عليه • فكان الشيخ ابن زيدون لا يتحسر على ذلك فيردد قائلا :

ـ صنت صلة الرحم • الله يغفر لينا •

وكانت حركات يديـه تزيد حديثه لذة فتمتد لاخـذ عضلته وتصوبها نحو الجماهير فترتعش عاكسة اضطراب نفسه لكنها تهدا وتستوي العصا فتنقلب الى الارض كما انقلب مدفع بندقيته بدمشق فيقربها دون تردد من جنبه الايسر ويضعها بنظام على الارض . فيغمر الشيخ هدوء باطني فتهدا ملامحه ويقل لهيثه •

فرح محمود ولكز رفاقه الجالسين بقربه ظانا ان الشيخ سيهدىء المؤدب ويحكي للتلاميذ حكاية تنسيهم ضربات العصا • تقدم الشيخ وجلس على عتبة الباب فحيى بيده المؤدب والاطفال

ـ الله يفتح ! الله يكثر من أمة محمد ! أحوالك بخير يا مدب ؟ لا باس عليك

ـ الحمد لله نشكره ونحمده على نعمته • الله يرحمنا يا سيدي •

ـ آمين • قلي يا حبيبي اخذ ها الذرى ودور بيهم في الاراضي يطلبوا شويه مطر • ربي يسمع كلام الصغار • ترانا والله اهلكنا •

ـ نايه انفكر في المسألة . قالولي عليها ناس كثيرين . قريب نخرجوا انشالله .

فسكت ابن زيدون فاختلط سكوته بسكون التلاميذ الذين انتهزوا الفرصة للاستراحة والتشويش والتطفل آملين اطلاق سراحهم بعد الاستماع الى قصة من قصص الشيخ • لكن ابن زيدون قام وقال للمؤدب

ـ سامحني الفلوس ما وصلت باش انخلص شهرية الاولاد •

ـ ما فيها بأس •• ما فيها بأس يا سيدي •

رآه محمود يبتعد متثاقلا كما اقبل ولاحظ ان وجهه اسود كثيرا وضعف وان يديه كانتا ترتعشان عند ما طلب المعذرة من المؤدب . فبدا له ذلك الشيخ ضعيفا هزيلا قد اجبرته السن وانقطاع مرتبه العسكرى القليل على التوسل الى الاطفال ليطلبوا المطر فيحيا الناس ويحيا معهم . فهو لم يبخل بشجاعته ولا بحياته فتحدى الزمن واهواله عند ما كان شابا ولكنه بدأ اليوم شاكا في نفسه كان الشك يولد من الهرم والعجز .

عاد الاطفال الى قراءة الواحهم عابسين لان الشيخ خيب امالهم فلم يحك حكايته . وزاد المؤدب في الطين بلة فاطال عمدا ساعة الدرس . لكنهم قفزوا بعد حين رامين بالواحهم . مضطربين مختلطين ببعضهم بعض ، متناطحين

ـ روحوا ولكن يوم الخميس كونوا قدام الكتاب على الفجر . ماشين نطلب في المطر انشالله .

تأخر محمود ولم يلتحق برفاقه . استغرب من قرار المؤدب لانه اختار يوم الخميس لطلب المطر . فهو يوم راحتهم يخصصه لقضاء مآربه وربح بعض الدريهمات من هنا وهناك . وازداد استغرابه لان المؤدب اطلق سراحهم دون ان يعلن عن ذلك بطريقته الخاصة . فلقد اعتاد « سيدى » ان يقوم اولا فينفض جبته من الغبار ثم يصرخ رافعا يده

ـ اذا اتاك اسم فعرفه بال بعد اشارة بعطف او بدل .

فيرددها التلاميذ معه ويقفزون تاركين الجامع . لقد حفظ « سيدى » ذلك العلم من طلبة جامع الزيتونة وقد حاول ان يذهب اليه ويتفقه فيه ولكن دون جدوى .

(2)

جلس محمود على الارض فقدمت له امه خبزة شعير فشرع يلتهمها ويجرع معها ماء من حقة طماطم ايطالية تستعملها العائلة مشربا . فكان يأكل عابس الوجه وينظر الى شكل منزلهم الذى كثرت ثقب حيوطه وانحنى بابه فأصبح عرضة للداخلين والخارجين . فكان دائما يبذل جهدا لفتحه وغلقه . جلست امه وسط المنزل فتناولت رحى حجرية وشرعت ترحى قليلا من الشعير كانت تحفنه من غربال وتنهر عنه دجاجة اصرت على مهاجمتها واثارة الغبار . رمى محمود الدجاجة بحصاة وقال متهكما

ـ دائما خبزك شايح ناشف . آش تعملي بالله ببيض ها الدجاجة الله يعطيها زرقـون ؟

فلم تجبه واستمرت ترحى . فاغتاظ من سكوتها فأعاد الكرة

ـ دائما ساكته ودائما خبزك شايح ؟

فالتفتت اليه

ــ الجيعان ياكل حمار بشعره • آكل واسكت يا محمود يا ولدى •

ــ لا ما ناكل ولا نسكت ولا نايه ولدك •

ــ آه لو كنت شابة كيفك ، والله يا محمود ناكل خبز شايح ونشرب ماء بارد ونقفز فى الهواء الرأس فارغ والقلب فرحان •

فلم يجبها وحشا باقى الخبز فى فمه حتى كاد يغص • ان منطقها غريب فهى كغيرها تعتقد ان الجد والالم محصوران فى المسنين • فلا تعلم ان الشباب طاقة وتحمس وليس مسألة سن او قوة او تهاون •

خرج من منزله الذى يتوسط حى سيدى ابى لعابة فيشرف على السوق وتظهر منه هضاب عين ام الثعالب وجبلا ابى الاحناش وكشرودة وقرية القلعة الجرداء والناظور • اندمج فى الشارع المقابل لمنزله • مبتعدا عن اكداس الاوساخ وعن النجاسة والمياه العكرة • دفع الباب الثالث على يساره ثم ترفق فاخرج قرطاسا من جيبه واخذ منه قطعة حلوى رمى بها فى فمه ونادى

ــ فطومة ! يا فطومة ، فطومية !

فلم يجبه احد فتوجه الى السوق مارا بازقة البلدة ومنازلها المتشابهة التى بنى جلها بناء « كعور وارم للاعور » •

تعود محمود المرور كل صباح بمنزل عمته خديجة بعد الخروج من الكتاب لزيارة ابنتها فطومة فيختلس منها قبلة رغم امتناعها المتصنع او يفاجئان بعضهما بعضا بهدية او ما يماثلها • فهى تصغره بسنتين سميت عليه ليتزوجها يوما ما • فوجدا من حسن حظهما ان الفكرة طيبة مصيبة ولم يجتهدا لتبريرها • ظل محمود يمشى مفكرا فى حبيبته وفى موعد اللقاء بها ثانية ليسلمها الحلوى • فما كاد يبلغ طاحونة العثمانى حتى سمع صوتا يناديه فالتفت فرأى فطومة ملفوفة فى حجابها تدعوه للعودة الى منزلها • التحق بها ودخلا المنزل •

ــ شوف ، شوف يا محمود تعجبك هذى المليه الجديدة • تعجبك والا لا ؟

اطال النظر فى مليتها الزرقاء الداكنة البسيطة التى شدت بحزام لونت خيوطه وحصر على جنب فطومة الايسر بحلقة فضية كانت ترتفع كلما تحركت فطومة • فبدا جسمها من خلال الملية يانعا جذابا تزداد تفاصيله وضوحا عند ما ترفع فطومة يدها متبخترة لترسل شعرها الاسود الكثيف الطويل على ظهرها •

ــ ما قولك ؟ اش بيك ساكت تقلب فى كانك تقلب فى دجاجة والا نعجة تحب تشريها ؟ عجبتك والا لا ؟

ــ والله حاجة هايله هايله

ثم اقترب منها وادمج يديه فى شعرها الاسود النظيف المغسول « بالطفل » الذى تأتى به امها من هضبة ام الثعالب ويستعمله محمود لتبييض لوحته بعد

ما يمحو كتابتهـا السوداء . « كنت » رأسها بين يديـه ونظرت اليه بعينيها السوداوين الواسعتين .

ـ مليتك حلوه جميلة يا فطومة لكن عينيك اجمل منها . عينيك غريبة تسأل دائما لو كانت عندى عينيك كنت شفت العالم بكله .

ـ ابدا عمرك ما تقدر تشوف العالم كله ولا تقدر تشوفه بعينين غيرك .

ـ ليه ؟ انت سلفيني عينيك وتـوا تشوفي ! سلفييني عينيـك يا فطومـة ؟ ها هو كراهم .

ثم دس فى فمها قطعة حلوى فابتلعتها ضاحكة .

ـ العالم واسع يا محمود وما تقدر تستعمل عينى . تولى كالغراب حب يقلد مشية الحمامة لكنه ضيع مشيته طول عمره .

ـ لكن اذا قلدت الحمامة الغراب تضيع مشيتها والا لا ؟

ـ لا . نايه نحبك تبقى غراب اسود على كل حال . اذا كان حبيت كل شيء فى الدنيا يضيع منك كل شيء وبعدها تغلط وتصيبك مصيبه الله يعفيك منها .

ـ على كل حال خلينا من ها الكلام . انت فى بيتكم غدوه ؟

ـ لا نايه ماشيه نغسل مع امى .

ـ بالسلامة. نايه راجع غدوة . لا لا سامحيني يمكن بعد يومين والا ثلاثة.

وضع فى يدها قطع حلوى ثم قبلها وخرج يفكر فيها معجبا بروح مبادرتها وفطنتها التى يغار منها احيانا فيزداد حبه لها . فمنذ ان مات والدها من السل اصبحت تعين امها . انه يكره رغم احكام الضروريات ان يراها تشتغل لانه يغار عليها من الشبان وخاصة من الشيوخ الاعيان الذين يلحون على امها لتتزوج بها وذلك مقابل اموال كثيرة . فكانتا ترفضان بشدة فيفرح محمود بذلك ويعتز به لان فطومة اعلمته مرارا عديدة انها ترضى ان تموت فقيرة ولا تفرط فيه لانه فرحتها فى الحياة وبالحياة .

فتح القرطاس ثانية واخذ منه قطعة حلوى ثم دس الباقى فى جيب قميصه الطويل واسرع فى مشيه يخبط برجليه الحافيتين تراب الطريق . لقد طلب منه معلم مدرسة البنات ، سى على ، ان يساعده على نقل امتعة زوجته وابنته اللتين تصلان فى ذلك اليوم مـن تونس . فوجـد ذلك العرض فرصة طيبة لربح دريهمات يشترى منها هدية لفطومة ويعين والده الدلال العاطل منذ ايام من اجل كساد السوق وقلة الزبائن الذين يقل عددهم عند ما تقل الامطار بالجهة .

كانت الساعة فى يوم الاربعاءذاك ، تقترب من الواحدة ، فاشتدت فيها الحرارة وتسربت الى الارض والحجارة فلكعت رجلى محمود الذى سعى لتجنبها فاستنجد بظل الاشجار وواقيات الدكاكين . وكان النور والضوء يملآن الاجواء والسكون

ويغمران كل شىء مندمجين فيه مكتسحين اياه • ففر معظم سكان البلدة من الهجير وقصدوا بيوتهم • فخلا السوق الا من افراد قلائل اجتمعوا تحت ظل الاشجار ببطحاء البلدة الكبيرة • فكانوا يتحادثون او يستمعون بين يقظة ونعاس الى مذياع مقهى تونس يردد الحانا واغانى من تونس او باريس ثم يسكت فجأة فيبكم •

بلغ محمود مقهى تونس فرأى زبونا عاطلا يجلس على كرسى ويمد رجليه ثم ينادى

ـ يا قهواجى شربة ماء باردة

فاجابه النذل من الداخل

ـ والله ما تراها ولو نهق البهيم فى البحر •

فابتسم محمود من مهاترتهما القصيرة التى تقع امثالها مئات المرات فى القرية واستغرب من وقع صوتهما فى السكون • فكلما ارتفع صوت او وقع ضجيج تضخم وردته اصداء البلدة كلها فيرن غريبا شديدا فى اذنى محمود ثم يتفرقع فى السكون •

وصل الى فندق « مرتينى » الوحيد من نوعه بالبلدة فظهرت اليه مدام « مرتينى » سمينة حمراء ترفع بعسر رجلها البتراء • فحيته مبتسمة لانه باعها مرات عديدة نخالة امه لتغذى بها الاوز والخنازير التى جمعتها فى ساحة بمؤخر الفندق • رفع محمود مظلته واستوى على سياج الفندق الاسمنتى ناظرا الى شبان عاطلين قد استلقوا بكل ما لهم من عرض وطول على الاسمنت البارد • انهم يترقبون مثله قدوم الحافلة التى تقبل من تونس ثلاث مرات فى الاسبوع •

استلقى على الارض مثلهم لكنه سمع دقات على الشباك القريب منه • التفت فرأى المعلم سى على يبتسم له ملوحا بيده يشكره على قدومه ثم رآه يقف فيفتح الشباك ويقرب وجه الاسمر ذا الملامح الرقيقة • •

ـ الكرهبة عدها وصلت والادباش كثيرة • الاحسن تكرى كريطة •

ـ عندى حبل طويل يكفينى •

ـ الله يبارك ، الشى يهمك ، وانت الحمال •

ثم اغلق الشباك وجلس يشرب جعة فلم يلاحظ ان محمود اجابه مقلدا لهجة اهل الجريد الذين اشتهروا فى بلدة تالة بكلامهم « النحوى » وبفطنتهم وشيق نكتتهم عند ما يصول ويجول « التكرودى » فى رؤوسهم • فهم اما اهل ورع او اهل زندقة • فامام البلدة جريدى كذلك حلاقها وخبازها وكعاكها وبائع نظاراتها • اما احد معلميها فهو سى على الذى تجنس وشرب الجعة على رؤوس الاشهاد وتزوج فرنسية ومشى على رأسه فى الارض • فهو لا يختلف عن زنادقة جهته اذ يعتبرون ان المغفرة خلقت لتبرر الاثم وتمحوه • فلا خير اذا فى من لا

يجرب اثما لينال مغفرة . فالانسان من اذنب ليعرف تجارب الحياة .

اراد محمود ان يصفر ليتجنب النوم لكنه قام وارهف السمع فبلغه بغتة نعيق اهتزت له القرية كاملة . قفز واتجه الى الطريق الرئيسية فرأى الحافلة تطل من اسفل القرية تعلو كل المنازل بجثتها المتثاقلة التى تراكمت عليها الادباش . فلما وصلت امام منزل قعيد عوت ثانية ثم وقفت فانطلق بخار محركها التعب اللاهث وامتزج بالغبار الكثيف . نزلت منها نساء توجهن مسرعات ملفوفات الى اسفل القرية وأطل عليها من الشوارع والازقة اناس كثيرون فيهم كثير من الاطفال الذين تعلقوا باخرها هائجين مائجين . فسرت الحركة فى السوق وعادت اليه الحياة . استمرت الحافلة فى سيرها ووقفت امام فندق « مرتينى » فحاصرها الناس وتعالت الاصوات وتهالك العاطلون على ادباشها فنشبت معركة بين اثنين فتلاكما حتى سال دمهما فادركهما شرطى ثم ساقهما امامه .

ـ يا محمود اقرب من الباب . زوجتى وبنتى وصلوا .

ـ مبروك يا سى على ، مبروك .

واقترب محمود من باب الحافلة يداعب حبله الطويل . رأى المعلم يرتفع على قدميه ويبتسم الى امراتين انيقتين ظلتا جالستين بينما ازدحم الركاب فى نزولهم حول عجوز جسيمة سدت ممر الحافلة باحثة عن دجاجة لها قد اختفت تحت الكراسى .

خف الزحام فتقدمت الام وتأخرت البنت فهرول سى على نحو زوجته فضمها بشغف وقبلها بحرارة امام الحاضرين ثم انتظرا البنت التى ملات قامتها الرشيقة باب السيارة . تعلق بها الناس وبفستانها الازرق الداكن الشفاف الذى لبس جسمها لبسا فابرز دقائق محاسنها فالتهمتها الانظار التهاما .

وضعت برشاقة رجلها اليمنى على درج السيارة الاخير وما كادت تمد رجلها اليسرى على حجر الساقية حتى زلت فهوت وكادت تتهشم لولا محمود الذى لقفها بسرعة فالتوت يده اليمنى حول خصرها ونشبت يده اليسرى فى كتفها فمزقت ثوبها فانكشف مزيد من جسمها الابيض.استقامت سريعة ونظرت الى محمود مغتاظة ثم قالت بلهجة فرنسية حادة

ـ تشكـر ـ

وضعت والدتها لحافا احمر على كتفها وقادها ابوها الى الفندق مسليا . شعر محمود بجفاوتها فاغتاظ من معاملتها رغم حسن نيته . فندم على فعلته ثم توجه الى مؤخر السيارة يترقب الامتعة من حمادى بائع التذاكر . شد الادباش بكل ما اوتى من قوة كانه ينتقم منها واستعان برجلين لرميها على ظهره فسقطت عليه متكدسة على ظهره وكتفيه ورأسه فهو قليلا وتحرك متعثرا لكنه استقام وهم يمشى ثقيلا مجهدا نفسه قارنا اسنانه . فلما وصل قرب مخبزة شارلو

الايطالي شعر ان المعلم وزوجته وابنته يتتبعونه • وقف قرب شجرة وارتكز عليها بالادباش ليستريح ويمسح العرق الذى غمره وغشى عينيه• فلم يتوصل لمسحه خشية سقوط الامتعة فيغتاظ المعلم ويجبره على نقل الاثقال مع غيره فيقل اجره ، قلع نفسه من منصبه وعاد يمشى مكدا حتى اقترب من اصحاب الادباش فبدت امامه البنت بديعة فى فستانها تمشى برشاقة ، متباطئة ، متمايلة • تعلق بها فجذبته • فظن ان جاذبيتها ناتجة عن انوثتها وحرارة الشمس لكنه تراجع فى رأيه مقتنعا انها جميلة ولا يكون الجمال الا اذا كان فيه شيء من الفجور او التواضع • لقد فاز بحقيقتها • شعر بذلك الفجور والتواضع يتفاعلان فيها وفى مشيتها وعطرها الفواح الذى اشتمه عند ما زلت •

نسيها لما احس بالاثقال تؤلمه فوعد نفسه باستراحة قرب المستشفى • طأطأ رأسه ونظر الى الارض كي يتجاهل المسافة • مشى امتارا لكنه شعر فجأة بيد تأخذ منه كيسا كان بيده فظنه مزاحما ارسل به المعلم • رفع نظره فرآها تبتسم له ثم خاطبته بالعربية

— اعطيني هذى احملها معاك

— لا ! لا ! خلي عليك •

— لكن هذا كله اثقيل عليك •

فسكت وقبض بشدة على الكيس ثم ركض حانقا على تطفلها • فهو لا يحتاج اليها ولا الى عطفها لانه يريد ان يتلذذ المه وحده • لحقته فاراد ان ينهرها لكنها سبقته تريد ان تكفر عن حدتها السابقة

— انا اسمى صوفية وانت اش اسمك واش يخدم بوك ؟

— اسمي محمود وابى دلال•

وود لو اضاف ان والده دلال لكنه لم يمسخ نفسه كوالدها • لكنها بادرته ثانية بكلمات لطيفة واقتربت منه مبتسمة • ابتسم لها رغم انفه • رآها تنظر الى صدره والى عضلات ذراعيه التى برزت فتكورت تكاد تفلق قميصه • وتعلق نظرها برجليه الحافيتين فكانتا تدوسان حصى الطريق دون ان تدمى • انزعج من نظرها فحدق فيها من تحت اثقاله ثم اسرع فى مشيته تاركا اياها •
دخل غرفة الاستقبال واشتغل بفك الادباش • فلما انتهى التفت يريد الخروج فرآها فى زاوية • كانت جالسة على كرسي قد رفعت فستانها عن ركبتيها وفتحته عن صدرها واستعملت مهواة تجلب لها النسيم • فظهر طرفا نهديها اللذين ملأ صدرها وانكشف فخذاها الابيضان المكتنزان حدق فيها محمود والعرق يكسو جسمه ثم تساءل عن قلة حيائها منه فرآها تنظر الى رجليه بعينيها المتكاسلتين اللتين كانتا تسرقان محيطها سرقة كأنهما تحلمان به • قفز منزعجا وخرج هاربا بعد ما تسلم اجرته • نزل الى السوق يفكر فى اسباب نظرتها الى رجليه فوجدها كثيرة • تناساها بعد قليل عند ما تذكر ان فطومة حافية مثله وان الحفاة فى القرية اكثر من المنتعلين وان حفاة الارض اغلبية • وتناساها نهائيا كما ينسى حلما مضطربا ففكر فى المؤدب وفى الاستسقاء •

(يتبع)

النـــــــدم

شعـر : الهـادى نعمـان

أفيقِي فقَدْ نَامَ الزَّمَانُ بَعِيدَا
وَنَاجَاكِ حُبٌّ يَسْتَفِزُّ نَشِيـدَا
فَغَنِّيْ لَهُ فَالكَوْنُ يَرْقُبُ قِصَّةً
تَجِيشُ بِهَا الأَلحَانُ مِنْكِ قَصِيدَا
بِهَا صَبَوَاتُ النَّفْسِ تَطْفَحُ بِالرَّجَا
وَلَوْ حَطَّمَ الدَّهْرُ العَنُودُ عُهُودَا

* * *

أَرَاكِ عَلَى بُعْدٍ فَأُلْفِيكِ نَشْوَةً
تُغَنِّى صَبَابَاتٍ تُدَاعِبُ عُـودَا
سَمَاءٌ مِنَ الآمَالِ شَعَّ ضِيَاؤُهَا
تُبَاكِرُ أَحْـلاَمَ المَشَاعِرِ عِيـدَا
أَرَاكِ فَأَنْسَى كُلَّ مَا مَرَّ مِنْ أَسًى
وَأَبْنِي غَرَامًا لاَ يَـزَالُ جَدِيـدَا
تُعَلِّمُنِي الأَيَّامُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
جَـمَالاً أُغَـنِّيهِ سَناً وَخُـلُودَا

وَفِي سَكْرَةِ الإِلْهَام أَلْقَى عَوَاطِفًا
تَأَجَّجُ بِالْحُبِّ الْعَمِيقِ شَدِيدَا
أُحِبُّكِ مِلْءَ الْقَلْبِ حُبًّا مُبَرِّحاً
وَفِي الْحُبِّ مَا أَلْقَى وَأَشْدُو قَصِيدَا
تَمُرُّ بِيَ الأَعْوَامُ فِي سَكْرَةِ الْمُنَى
خَيالاً عَزُوفاً مُوحِشاً وَطَرِيــدَا
وَأَلْقَاكِ لَحْنًا ثَائِرًا مُتَمَــرِّدًا
وَحُبًّا عَلَى رَغْمِ الزَّمَانِ فَرِيدَا
هُوَ الْحُبُّ مَا أَلْقَى هُوَ الْحُبُّ مَا أَرَى
كَفَى مَا تَغَشَّانِي أَسًى وَصُدُودَا

* * *

وَذِي قِصَّتِي أَرْوِي حَدِيثَ ظَلاَمِهَا
وَذِي مُنْتَهَى الْبَلْوَى تُنَاغِي عَمِيدَا
تَمَرَّسْتُ بِالشَّكْوَى وَأَنْقَذْتُ مُهْجَتِي
وَعَانَقْتُ فِي هَذَا الظَّلاَمِ وُجُودَا
وَجَدْتُ بِهِ أَحْلاَمَ قَلْبٍ مُعَذَّبٍ
تُطِيحُ بِهِ الْبَلْوَى فَيَجْنِي وُرُودَا
وَفِي الشَّرِّ خَيْرٌ دَافِقٌ غَيْرُ ذِي شَجًى
وَبِالْمَوْتِ أَحْيَا فِكْرَةً وَخُــلُودَا

هُوَ الْحُبُّ فِي الدُّنْيَا صَبَابَةُ عَاشِقٍ
تَخَيَّرَ أَنْ يَلْقَى الْجَحِيمَ سَعِيدَا
لَقَدْ كَلَّفَتْنِي النَّفْسُ مَالاَ أُطِيقُهُ
فَشَجَّعْتُ آمَالِي لِكَيْ تَسْتَزِيدَا
غَرَامُكِ لاَ يَنْفَكُّ يَمْلأُ خَاطِرِي
بِفَنٍّ لَذِيذٍ يَسْتَعِيدُ عُهُودَا
عَلَى رِسْلِكِ الْجَبَّارِ أَحْدُو بِزَوْرَقٍ
عَشِقْتُ بِهِ فَنًّا سَنِيًّا مَجِيدَا
أَشُقُّ بِهِ الْبَحْرَ الْعُبَابَ كَأَنَّنِي
أَرَى أُفُقَ الأَحْلاَمِ فِيكِ نَضِيدَا
إِلَيْكِ يُغَنِّي كُلَّمَا جَثَمَ الدُّجَى
عَلَيْهِ لِكَيْلاَ يُبْتَلَى فَيَبِيدَا
أَلاَ إِنَّمَا الإِنْسَانُ حُبٌّ مُقَدَّسٌ
وَنُورٌ بَدَا رَغْمَ الظَّلاَمِ جَدِيدَا
يُشِعُّ عَلَى الدُّنْيَا حَقِيقَةَ سِحْرِهِ
وَفِي الشَّاطِئِ الْمَهْجُورِ يَبْنِي وُعُودَا
لِكَيْ نَلْتَقِي يَوْمًا وَيَجْمَعَنَا الْهَوَى
حَلِيفَيْ سَلاَمٍ نَسْتَجِدُّ نَشِيدَا

إِذَا الْمَوْجُ غَنَّانِي وَنَاجَى عَوَاطِفِي
أُحَدِّثُهُ أَنِّي فَقَدْتُ رَصِيدَا

غَرَامِي غَدَا شِلْوًا طَرِيحًا مُمَزَّقًا
فَأَيُّ جَمَالٍ قَدْ تَرَدَّى فَقِيدَا

أَتِلْكَ هِيَ الْأَمْوَاجُ تَلْقَفُ مُهْجَتِي
أَذَاكَ هُوَ التَّيَّارُ يَبْدُو عَنُودَا

أَيَا شَاطِئَ الْأَحْلَامِ يَا خَيْرَ مَنْزِلٍ
نَزَلْتُ فَكُنْتُ الْمُسْتَجِدَّ بُرُودَا

أَفِيقِي أَفِيقِي وَاسْمَعِي رَائِدَ الْهَوَى
وَكُونِي لَهُ فَجْرًا يُحَيِّي سَعِيدَا

نَدِمْتُ عَلَى مَا فَاتَ يَا لَيْتَ عَاشِقًا
تَخَيَّرَ يَوْمَ اخْتَارَ عَنْكِ صُدُودَا

أُرِيدُ وَلَكِنْ أَيْنَ مِنِّي إِرَادَتِي
أُرِيدُكِ حُبًّا فِي الْحَيَاةِ جَدِيدَا

أَفِيقِي أَفِيقِي إِنَّنِي نَادِمٌ عَلَى
حَيَاتِي فَهَلْ لِي أَنْ أَكُونَ مُرِيدَا

الهادي نعمان

اربعـة أسئلـة يجيب عنهـا
محمـود تيمـور

1 ـ اطوار حياتي الأدبية ٠
2 ـ لماذا فضلت القصة القصيرة ؟
4 ـ هل قصدت تمثيل الشعب بآماله وآلامه في قصصي ؟
4 ـ لماذا اخرجت بعض مسرحياتي بالعامية ؟

(1) هل يمكن لكم ان تلخصوا اطوار حياتكم الادبية ؟

كان من الخير ان يجيب عن هذا السؤال غيري ، مستبينا اطوار حياتي الادبية ، من خلال تصفحه لاعمالي ، في نحو اربعين سنة ٠ فما يستطيع المرء ان يرى نفسه كمثل ما يراه غيره ، ولعل الغير اقدر على الاستبانة والاستخلاص على ان هذا لا يمنعني ان استغرق في لحظة من التأمل ، لاتعرف اهم ما كان لحياتي الادبية من اطوار ٠

واغلب ظني ان اهمها طوران :

الطور الاول ، ما اسميه « فترة ما بعد الحرب العالمية الاولى » وقد شب يومئذ شبابي ، واكتمل للكتابة تأهبي ، ففي هذه الفترة ملكتني فكرة الاسهام في الادب بلون جديد ، يعبر عن نزوعنا الوطني ، وحياتنا المحلية ، فألفت من القصص ما الفت ، حريصا ما وسعني الحرص على ان اكسوها مسحة مما تقع عليه عيوننا في البيت والسوق ، مصورا من الابطال ما يمثل شخوصنا الذين نعايشهم صباح مساء ٠ ومن ثم خرجت مجموعات قصصي وكأنها الواح فاقع لونها للعهد الذى نحيا فيه داخل وطننا المحدود ٠ وكان هذا الطور من حياتي صدى لما كان يعتلج في نفسية الواطنين حينئذ من رغبة في تقويم الشخصية المحلية ، واظهار معالمها في شتى صور التعبير ٠ ولا غرو ان يكون ذلك هو الامنية القصوى لشعب كان يلتمس الخلاص من التبعية ، وينشد الحرية والاستقلال ، ويريد ان يتبوأ مكانه الخاص تحت الشمس ٠

واما الطور الآخر من حياتي الادبية ، فقد بدأ قبيل الحرب العالمية الثانية ، وانا مكتمل الرجولة ، فقد افدت مما قرأت ، وانتفعت بما رأيت وسمعت ، ومربى من التجارب ما انضج خبرتي ، وعمق معرفتي ، بحقائق الاشياء ، وفلسفة الحياة ٠ فجعلت اتخفف من اللون المحلي ، ولم يعد يزدهيني تصوير المظاهر الخاصة بقدر ما يشغلني اسلوب المعالجة ، وطريقة التحليل ، واصالة الموضوع ٠ ذلك اننا في هذه الفترة كنا قد استقبلنا عصرا نستثمر فيه



الاديب الاستاذ محمود تيمور

حريتنا ، واستقلالنا ، لاكتساب الرقى العلمي والادبى والاجتماعي ، وسرعان ما تكونت بيئة ادبية واعية تستهدف السمو بأدبنا العربى الى مستوى الاداب العالمية على اوسع نطاق • ومنذ ابتداء تلك الفترة جنحت فى قصصى الى تناول موضوعات وثيقة الاتصال بالطبائع البشرية فى مجالها العريض ، مؤمنا بأنه لا خلود لادب الا اذا كان صادق التعبير عن الانسان ، مصورا لاعمق خوالجه واشيعها فى كل مكان •

على انى حين راجعت عملى فى ذلك الطور الاول من حياتى ، كان مما بعث الطمأنينة الى نفسى ان هذا العمل فى جملته لم يخل من بزور انسانية اصيلة وبفضل هذه البزور اتيح لاكثر المجموعات الاوائل من قصصى ان تبقى حتى اليوم بين ايدى جمهرة القراء •

(2) لماذا فضلت القصة القصيرة على القصة الطويلة ؟

لا شك ان القصة القصيرة ، من الناحية الشكلية ، منالها ايسر ، ولذلك يتهافت عليها كل وارد • ويسر القصة القصيرة لا يقف عند حد كتابتها ، بل انها ميسورة ايضا للنشر ، ميسورة للقراءة ، فأنت اذا اردت الدخـول فى ميدان القصة من اقرب ابوابها كتبت القصة القصيرة ، واذا كتبتها تسنى لك نشرها فى صحيفة او مجلة ، والقارىء يقبل على قراءتها لانها لا تستنفد منه كبير وقت او كبير تفرغ •

ولكن هل كان هذا حقا هو السبب الذى جعلنى اوثر القصة القصيرة على الطـويلـة ؟

أحب ان ارجع الى قصة كتابتى « للقصة » من اولها ••• فقد كنت قارىء قصة قبل ان اكون كاتبا قصصيا ، واكثر ما قرأت فى مطلع حياتى الادبية كان من القصص القصير • قرأت « لموباسان » و « تشيخوف » واضربهما ، فلم يكن بدعا ان احاول اجراء القلم بقصة قصيرة تنحو هذه المناحى التى فتنتنى قارئا • وفوق ذلك وجدت فى نطاق القصة القصيرة وسيلة لاظهار مدى قدرتى المحدودة على التقاط المشاهد ورسم الشخصيات ومعالجة الموضوعات • فلما امتد بى الوقت ، وتـوافرت لى التجربـة ، وتعقدت امامى مشكلات الحياة ، وتشابكت صورها المختلفة ، كان من الطبيعى ان اعالج القصة الطويلة • وقد كتبتها فعلا ، واطمأننت الى انى وفقت فى كتابتها توفيقا احمد الله عليه ، ولكن موقفى من القصة القصيرة كان كما قال الشاعر :

أتانى هواهـا قبـل ان اعـرف الهـوى
فصـادف قلبـا خـاليـا فتـمـكـنـا

وأظننى ما زلت على هواى للقصة القصيرة ، مصداقا لقول شاعر آخر :

نقـل فـؤادك حيث شئـت مـن الهوى
مـا الحـب الا للحـبـيـب الاول

(3) مسرحكم وقصصكم ينبض فيها قلب الشعب بافراحه وأتراحه وآماله ، فهل قصدتم ذلك ؟

لم اقصد ذلك البتة • ولو قصدته ما بلغته • فالقصد فى الفن لون من التكلف • وعند التكلف الزلل •

ولست اعني بذلك انى اخطأت فى اخراج عملى الادبى على هذا النحو ، او انى اعد ذلك تهمة يجب التبرؤ منها •

لا يا سيدى !

انه لشرف اى شرف ان يكون عمل الكاتب صورة لافراح شعبه واتراحه وآماله فتلك آية الصدق فى عمله الفنى ، وذلك برهان استجابته الدقيقة للحياة من حوله ٠ واذا توافر للكاتب صدق التصوير الاجتماعى ، وحسن الاستجابة للمشاعر الانسانية ، فقد أدى رسالته حق ادائها ، وقد ضمن لعمله الادبى ان يكون خالدا ان كان شىء فى هذا الوجود مكتوبا له الخلود ٠٠٠ ومن قبل فاخر « شوقى » بهذا فى قوله من نونيته العصماء :

كان شعرى الغناء فى فرح الشرق
وكان العزاء فى أحزانه

كل ما صنعت انى ارهفت سمعى ، وحددت بصرى وايقظت حسى ، فى البيئة التى تعايشنى ٠ وعاهدت نفسى ان التزم الصدق الفنى فى استيحاء ما اسمع وارى ، وما اشعر به وأتأثر ٠ ولئن كنت حقا قد وفقت فى التصوير والتعبير والاداء ، انى بهذا التوفيق لهانىء سعيد ٠

(4) لماذا اخرجتم بعض مسرحياتكم باللغتين : العامية والفصحى ؟

الا تخشون ان استعمال اللهجة المحلية يؤدى الى تجزئة الادب العربى ؟

نعم ، اخرجت بعض مسرحياتى مكتوبة بالعامية ، لان هذه المسرحيات تتناول شخصيات محلية متغلغلة فى البيئة الشعبية العامة ، وموضوعاتها عصرية تلابس حياتنا الحاضرة ٠ وفى كتابتها بالعامية تقريب لهذه الشخصيات من حقيقتها الواقعية ، وفسح لمجال الموضوعات ان تبدو ملامحها الدقيقة التى تتمثل فى التعبيرات المحلية الخاصة ٠

على انى لم ارد ان اكتبها بالعامية للقراءة ، وانما اردت ذلك للتمثيل فقط فى مسارحنا ، داخل بلدنا المحدود ٠ وكتبت هذه المسرحيات نفسها بالفصحى للقراءة على وجه عام ، وللتمثيل على وجه خاص ٠

واما انى اخشى تجزئة الادب العربى من استعمال اللهجة المحلية ، فأصارحك بأن الخشية من هذا لا محل لها من الاعراب !

الفصحى اقوى من ان ينال منها استعمال اللهجة المحلية فى بعض المسرحيات المثلة ٠ وحسبك ان الفصحى هى لسان العلوم والفنون والآداب ، وهى لغة الصحافة ، واغلب ما يرسل من الاذاعة ، بل هى ترجمان الثقافة على اوسع نطاق ٠ وهل تشك فى متانة الفصحى واصالتها فينا وانت تراها تتغلغل وتنمو وتزدهر على الرغم من ان اللهجات المحلية منتشرة فى الاوطان العربية جمعاء ؟ لا ضير على الفصحى من ان تمثل بعض المسرحيات ذات الشخصيات الشعبية والموضوعات العصرية فى بعض الاحيان باللغة العامية ٠ وانما الضير على الكاتب الذى يقتصر على اللهجة المحلية ، فيحرم انتاجه ان يشيع فى غير بلده من البلاد التى لا تحسن فهم تلك اللهجة ، و « على نفسها جنت براقش » كما يقول المثل العربى الفصيح !

محمود تيمور

البـذل الأتـم

شعـر : محسن بنحميدة

كان فجرا ذلك الليل العسير
فلقد غـاب السلام
وفى اغفـاء الضمير
أكثر الناس نيـام

◆◆

منذ ذاك الفجر لم نعبأ بأعداء الحياة
لا ولم نبخل بـدم
انـه البـذل الأتـم
انـه سر الحيـاة
أن يموت المـرء من أجل الحياة

محسن بنحميـدة

الادب بين الانطواء والشمول

بقلم : البشير المجدوب

الادب فى جوهره ومبناه تجاوز للذات واقرار لها فى دائرة اوسع من الوجود حتى لتشمل الجماعة والامة بل الانسانية كافة • فعلى قدر استجابة الكاتب (او الشاعر) لدواعى الحياة فى مختلف مظاهرها من جمال وقبح ، من حزن وفرح ، من بؤس ونعيم وعلى قدر انفعاله بهذه المظاهر والمعانى تكون قوة طبعه واصالة فنه •

لقد يصح القول بانه فرض على الكاتب ــ لما اوتيه من خصوبة الشعور وخفة الخيال ومرونته ــ ان يحيا « اضعافا » من الحياة ، ضروبا والوانا من الحياة • فبينا تراه يناجي روح هذه العاشقة البائسة ويعيش مرارة يأسها اذا هو ينقلب فردا من تلك الطبقة المحرومة حقها فى العيش والكرامة ويثور منددا بمظالم فئة البغاة المستبدين •

وهكذا من حال الى حال ولا قرار • نفس مشاعة تتجاذبها عوامل الوجود وتتزاحم عليها ــ وهنا بعض من محنة الكاتب ووجه من مأساته ــ اذ يلتمس حدودا لنفسه يسكن اليها ويرتاح ، فيعدمها • فليس له من نفس خاصة به انما هو نهب للغير دائم الترحال متواصل الاسفار فيعيش غريبا عن ذاته قريبا منها ويعانى طرفى النقيض : غربة عن الذات وأنس وامتزاج بالغير •

ولن يتحرر من قلق هذه الحال ــ من ثنائية فى الشعور وجدلية فى الموقف ــ الا بأن يتصدى للعمل الفنى فيلفظ شعوره ويستريح الى حين •

فتوزع الذات وتبددها وتواضعها حتى لا تستكنف من ان تكون صوتا للغير ومرآة ••• هذه الابوة او الصداقة الشاملة ••• او هذه الحرية والسلطة فى مستوى الكون بأسره والوجود اجمعه •• تلك هى عظمة الفنان وهى ايضا ثمن الشاعرية الباهظ وتبعتها العظيمة •

ذلك لان الكاتب مسؤول لدى نفسه اولا مدعو بدافع قوة جامحة لا ترد ، الى تجسيم احساسه ونفخ الروح فى فكرته لان فى ذلك اكتمالا لذاته • فما دام لم يبرم عملية الخلق يظل يشعر بالنقص فى شخصيته فيندفع الى الكتابة اندفاع الباحث عن ذاته الغامضة المحتجبة متطلعا متحرقا الى معرفتها والكشف عنها •

ثم هو مسؤول عن الغير يرى ان من واجبه ارضاء حاجتهم الى المعرفة والجمال، لانه اذا ما انتشى ، ساعة الوحى ، بما يختلج فى صدره من احاسيس وخواطر احس بان لديه سرا ثمينا ، ذخرا نفيسا حريا بان ينعم ويسعد به الناس ،

فيرغب رغبة ملحة فى اشراكهم فى افكاره واحساساته اعتدادا وانتصارا لها وامتاعا للغير لان فى طربهم مضاعفة لسروره واعجابه بفنه ٠

هذا الشعور بالمسؤولية نحو الغير مرده ايضا احساس الكاتب بانه **تفرد** ـ من بين سواد الناس ـ بالقدرة على التعبير عـن احساساتـه واحساسات الغير التعبير الاكمل الانسب ٠ فيعتقد ان تلك هى وظيفته الطبيعية التى اعد لها ومهمته التى خص بها دون غيره ٠ فان صمت او تغافل او تجاهل فقد تخلى وخذل وتقاعس حيث كان الناس بانتظاره ٠ ـ لانه ضميرهم الحى الناطق ـ والكاتب الـواعى لا يستطيع ان يسلم ـ فى مثل هذه الحـال ـ من الشعـور بالنقص ومرارة الحلف وشقاء النكران والخيانة ٠

وقد ادرك العرب بصادق فطنتهم ولطافة ذوقهم ما فى الشعور الفنى من تفتح وتسام ففرقوا بينه وبين الكرم والجود واطلقوا لفظة « الاريحية » ـ تجوزا ـ على اللذة الفنية فى اشرف مظاهرها حين يخيل للمرء بل هو يحس ان نفسه تنمو وتتعالى وتتسع وتزداد ظمأ الى الوجود واحساسا بمعناه وايمانا بقيمته ، ايا كانت هذه القيمة ٠

ويعترى الانسان فى هذه الحال ضرب من الصلف الرفيع اذ يشعر بلذتين : روعة الفن وانتشاء النفس بذاتها ٠

وظاهرة « التجاوز » هذه التى لاحت لنا فى الادب من حيث هو شعور تتأكد وتبرز حينما يتخطى الكاتب هذه المرحلة الى مرحلة الخلق الفنى فيسعى جهده فى التوفيق بين نقيضين: ابراز ذاته والتجرد عنها فهو يبرزها بمقدار ويكشف منها الجوهرى الاصيل ويتخذها سلما ووسيلة الى الشمول ٠

وهذه هى المعجزة فى الادب اعنى اختيار الكاتب لما فى شخصيته (او فى شخصيات نماذج ابطاله) مـن ميول وملامح وخصال جـديرة بان يهتز لها سائر البشر ويتجاوبوا معها ويكتشفوا بعضا من كيانهم او كل كيانهم فيها ٠

وبعبارة اخرى الادب هو الاهتداء الى « الوحدة » الانسانية عن طريق الفرد واعنى بالوحدة الصلات القوية العميقة التى تجمع بين البشر فى حدود الزمان والمكان ـ وايضا عبر هذه الحدود وعلى الرغم من اختلافها، اذ الوجود البشرى ـ بوجه عام ـ اشبه بالدوائر بعضها اوسع من بعض مردها جميعا الى مركز واحد وليس بينها الا اختلاف نسبى ٠

واذن « فخرافة » الاديب الذى لا يكتب الا لنفسه ان هى الا وهم باطل فما من كاتب جدير بهذا الاسم الا وهو ـ على الاقل ـ يخاطب طبقة من الناس ٠ وما انطواء النفس وانغلاقها دون محيطها الا قتل للادب وضرب من الانتحار الفكرى ٠

وبديهي ، اذا كان الامر كذلك ، ان الخصومة القائمة بين بعض الادباء حول طبقة قراء الكاتب ، أهي الخاصة ام العامة خصومة لاغية فالاديب في عالمنا اليوم (ولا سيما في بلدنا) ينبغي له ان يخاطب العامة والخاصة على السواء • وعليه أن يروض نفسه رياضة قد يكون فيها الكثير من العسر والمشقة حتى يحرز على مفاتيح شتى النفوس والضمائر وتتوفر له الاداة الصادقة الصالحة لابراز ما يدبحه في الكون وفي النفس من حقيقة وجمال ابرازا نيرا جميلا •

وليس خيرا ــ في هذا الصدد ــ من قول بعض القدامى شعارا لكتابنا الذين يبحثون مخلصين عن الطريقة الناجعة الكفيلة بخلق الادب الحي الشامل الكبير • قال : « خير الشعر ما فهمته العامة ورضيته الخاصة » •

واذا نظرنا الى الكاتب من غير هذه الزاوية وجدناه بين امرين يتنازعانه : ميل الى ان يأخذ الحياة مأخذا سهلا في يسر وبساطة ، في غرارة وغفلة كشأن الناس جميعا • يلتذون ويقفون عند حدود اللذة ، او يغضبون وليس الا ان تثور ثائرتهم ثم يهدأون •

ثم ميل ، من جهة اخرى ، الى اتخاذ هذا الشعور من لذة وغضب وحسرة وسرور وسيلة الى غاية ، مادة صالحة لصنع الجمال •

وهنا تزول « براءة » احساس الكاتب لازدواج موقفه من الاحداث والكائنات : فيه الانسان الذي ينفعل عفوا فيذوق ويطعم ، وينفر ويقبل ، ويحب ويكره ••• لنفسه •

وفيه الفنان وكأنه العين او الرقيب الذي قد يخفى ، ولكنه لا يني يدفع الكاتب ، من حيث يشعر او لا يشعر ، الى ان يعيش لفنه • ولا تزال عين الفنان تتحسس وترود في نهم الاحساسات والخواطر فتصطفي هذه وتنبذ تلك حتى لقد يضيق الكاتب بهذا الوضع ، ويتبرم بهذه الرقابة المضيقة المسلطة على عيشه فيحن الى صفاء الشعور ويتوق الى معين الحياة غير مشوب بشائبة من فن او تفكير ، ويشق عليه ويضنيه الا يكون هو غاية لنفسه •

لذا نجده في صراع مع ذاته ينشد العدل بين عيشه وفنه فلا يدع الفن يطغى ويستبد فتبتذل الحياة وتضمحل طهارتها فيكون مثله كمثل هؤلاء السياح يشغلهم تصيد الجمال بآلات التصوير عن تذوقه واستساغته وتمليه • وذاك السخف والعبث •

واذن فالحياة قبل الفن • هي اول وهو المحل الثاني ، هنا ــ في نظري ــ تنجم فكرة الالتزام في الادب ، وهو لن يكون الا وفاء للحياة واخلاصا لها في مختلف مظاهرها وشتى احوالها ، لا تعصبا اهوج لمذهب او تلاشيا في جماعة •

واذن فلا « صعلكة » ولا اندماج فى « العشيرة » الى غاية امحاء الشخصية وانما الاعتدال بين الفردية الضيقة وبين « جماعية » القطيع .

وليس معنى ذلك‌ان كل ادب « متمذهب » خلو من القيمة الفنية فها هو ذا الادب السوفياتى مثلا (والادب الشيوعى بوجه اعم) يقيم الدليل على ان الادب والعقيدة السياسية قد يجتمعان ويتلاءمان . ويكفى ان نذكر فى هذا الصدد اسماء لشعراء وكتاب كماياكفسكى (Maïa Kovski) وشلوكوف (Cholokov) وبسترناك (Pasternak) وارقون (Aragon) والوار (Eluard)و(Bertolt Brecht) وغيرهم .

الا انه ليس من شك فى ان اعظم آثار هذا الادب الروسى او الشيوعى الحديث هى التى ابتلع فيها الادب السياسة وهضمها هضما وبرزت فيها شخصية الكاتب بل **انسانيته** قوية جياشة خصبة ، وهى التى لا يصل امر المبالغة المذهبية فيها الى حد تحريف الواقع والجور عليه

وقس على ذلك الادب كافة ، بما فيه ادبنا العربى الذى لم تكن ازهى عصوره واعظمهـا الا تلك التى كان فيهـا الكاتب ـ كما قلت آنفـا ـ ضمير الشعب الحى الناطق .

ان الادب الكبير ـ قديما او حديثا ـ لهو ذاك الذى اوتى من الصدق والعمق وقوة الغوص على جذور النفس الانسانية واعماقها ما يسمو به من الخاص المحدود الى العام الشامل .

تلك حقيقـة لا يزال التاريخ يشهد بهـا على الرغم من تباين العصور وتغير الاوضاع وتقلب الاحـوال .

ـ البشير المجـدوب ـ

في صلامبو

صلامبو في 12 جوان 1961

بقلم : جعفر ماجد

ضاع لى عقل وقلب | فى صلامبو يا صلامبو

* * * *

يا غيوم العطر تيهى | وارتمى فوق الرمال
ان هذا الشط فيه | فتنة هاجت خيالى
بحره من عاشقيه | فى ذهول وابتهال
فاسألينى واسأليه | اينا عبد الجمال
هل له قد ضاع قلب | فى صلامبو يا صلامبو

* * * *

زرقة فى الماء تغرى | باندفاع من يراها
فوقها الامواج تجرى | ثم تفنى فى مداها
ليتنى قضيت عمرى — | ضائعا فى منتهاها
فوقها كالنور يسرى | دونما ادرى اتجاها
جامعا مدا لجزر | مازجا نفسى بماها
ضاع لى عقل وقلب | فى صلامبو يا صلامبو

* * * *

يا نسيما يا أغانى | يا مروجا من ضياء
اى شيء قد دعانى | خاطفا كالكهرباء
هل صلامبو (I) فى الحسان | أيقظت رب الغناء
أشرقت فوق الزمان | عطرت ذيل البقاء
هل سبتها فى مكانى | جلسة عند المساء
ضاع لى عقل وقلب | فى صلامبو يا صلامبو

(I) البطلة التاريخية

من رزقه

بقلم : **البشير خريف**

عبر عبد الحفيظ بن سالم الواد ليدخل جنته ٠ فمر بجنة جاره على الزبيدى فرفع رأسه يتأمل النخل ويقارنه بنخله ٠ هذا غالبه سحوق ، ضعيف جريده يضرب الى الصفرة والارض خراب عطشى والعشب طاغ عليها ٠ شتان ما بينها وبين جنته الربى الظليلة ذات الغروس الفتية التى تفتح جريدها فارعا كأنه يشكر السماء عن خضرته التى تضرب الى زرقة ٠ لكن ، انطفأ زهوه لما وقعت عيناه على « طلوع » تقابل غرسه وتفرع جريده كفوارة خضراء تدلت منها عراجين ذهبية ممتلئة ٠ نكس رأسه وتابع طريقه يلوم الطبيعة التى تعطى الخير لمن لا يستحقه ودخل جنته

* * * *

بادر الى الساقية ، فحفر رملها باصبعه ليرى مقدار البلل فيعرف مقدار خدمة « القنب » خماسه ثم ازال اعشابا ضارة من حوض الكرنب ثم طاف بنخلات بدرية بجانب البئر ، كانت لا تقل حسنا عن نخلات جاره ، لكن همه ان هل مستها يد ام هى سالمة كاملة ٠

* * * *

دوى صوت حمه الصالح ، خماس جاره قائلا على بعد

ــ صباح الخير أحفة ٠

ــ صباح الخير ٠

دخل حمه الصالح واقترب من الملاك وقال له :

ــ وراسك تكلم « القنب » احفه يخلينا نعقب من المسرب ، ها الصباح جينا ع نجر القتب ما خلاناش

ــ انا وصيته ٠ ما تعقبوش

ــ واش ع تخسر أحفه ٠ اما خير والا ندورو على الكاف الكل ٠

ــ وفاش مطلوب فيكم ٠

ــ تعمل معروف على جارك ٠

ــ كان بشرط ٠

ــ قــول

ــ تنقى لى شبعه من هاك المشخب

ــ ترضى نفسد عرجون على كمشه ، هاو عيب من ربى

ــ ما اقبحك وما صح عينك ٠ ما تفسدش العرجون وما تعقبش على غابتى ٠

واشاح عنه بـوجهه وهو يحاكي صوته في مبالغة وازدراء « عيب من ربي »
وكان على حمه الصالح ان يجر عدة اجذاع ليقتب حاشية جنته من ناحية الوادي والسبيل الى ذلك طريقان

* * * *

ان تعـرج الدواب على رؤوس العيون فتصعد كثيبا رمليا ثم تنزل فتدخل الجنة او ان تخترق الوادي فتمر على مسرب في جنـة عبد الحفيظ وتـدخـل مباشرة٠والفرق بين الطريقين ان الاول اطول من الثاني واشق بعشرة اضعاف

* * * *

لكن سلوك الطريق الثاني يتوقف على اذن حفه ، وحفه عنيد مشاكس ٠ لا يعرف الجميل ولا يسديه حتى الى نفسه ٠ فرغم ثرائه المفرط لا ينفق من رزقه شيئا ٠ وله في ذلك طرائق قل من يتفطن اليها ٠

* * * *

من ذلك انه يعرف مواعيد الزرد كلها في البلد ٠ فيتظاهر بتفان في حب الزوايا والتبرك بها والاستشفاء بتذوق سماطها ٠ فلا يتخلف عن واحدة ٠

* * * *

نهوضه ، دائما ، في الثلث الاخير من الليل فيطلع الى الصومعة ويبقى في انصات ، فاذا سمع العويل عرف ان مريضا قد انتهى مرضه فيجرى الريق في فمه كمثل صيـاد آنس حركـة حجلة ٠ فينزل مـن الصومعة ويخطو خطوات وينصت حتى يقوم نواح النائحة ويعرف وجهته فيخطو خطوات اخرى سريعة٠ وكلما اشتبهت عليه الطرق وقف وانصت حتى يعرف الدار فيمضي في حال سبيله مطمئنا عـلى وجبة الغد ٠ سوف يكون من اول المعزين ٠٠٠ وآخـر القائمين عن قصعة الفدوة ٠

وحتى مشقته ، فانه يتحيل عليها ، ينشق النفه ، لكن من حقق غيره ٠ فلم يره احد يشترى من حانوت القمرق ٠

* * * *

عـلى انهم رأوه يجفف محرمته في الشمس قبل ان يغسلها في الواد ٠ ثم يحكها على ورق فيتحتحت منها مسحوق التبغ فيجمعه ويصبه في حقته ٠ ولما قيل له في ذلك اجاب

ـ هذاكه مكرر ، كيف الحمص المكرر ٠ يجى اطيب من الآخر ٠

* * * *

ما كان لحمه الصالح الا يذعن٠فوعده بشبعة من المشخب فسمح له بالمرور ولما كان العصر حدر فرأى جرة الدواب في مسربه فصاح بحمه الصالح

ـ هـاك القضيـة

فـأجـابـه

ــ هاوينى « العلاقة » فى العريش ٠

ازال السعف عن العلاقة فوجد شماريخ كالذهب الخالص ٠ فجعل يصلى على النبى ويلومه ، بينه وبين نفسه ، على ان تكون مثل هذه الفاكهة عند غيره

* * * *

يأخـذ الكعبة بين اصابعه فينظر الى صفرتها الكرهبانية ويحدفها فى فمه ويخرج، بنفس الحركة علفة التى سبقت ٠ فعل ذلك مرارا وتكرارا حتى فرغت العلاقة وامتلأ كفه علفا ٠ فتنهد وتمطق

* * * *

وارى ذلك العلف فى حفرة وقـام عائدا عودا بطيئا ٠ رآه حمه الصالح فصاح بـه ٠

ــ سماح التميرات أحفه ؟

ــ لذة للآكلين ٠ يعطيك الصحة ٠ يبارك فى الايديات الى خدمتها ٠

ــ راهم ايدياتك أحفه ٠ هذاكه رزيقك حلالك

ــ واش تقول ؟

ــ هاذوكم من الجباره الى حذاء البير من قبلة

رمى ببصره الى حيث قال حمه الصالح ، فرأى ، بفزع ، العرجون مشوشا ٠ فالتفت اليه وقال له :

ــ الله ينعل والديك يا ابن الكلب ٠

ــ ولاه أحفه ، ربى يهديك ، تنعل فى ٠

ــ عاد انا قلت لك من جبارتكم والا من جبارتى انا ؟

ــ ما بينت ليش ٠ قلت لعود يكيدك رقى النخل ٠

ــ يكيدنى رقى النخل ! برة ماك هزبتنى ها المرة ٠

* * * *

سار حتى وصل الى المبانى ٠ اختلطت امعاؤه وانعقدت فى صدره فانحنى على الحائط وتقيأ ما فى جوفه ٠ تنفس قليلا ثم بربش قيأه وانصرف آسفا ٠

* * * *

فانـه وجد مع خليط التمر شيئا من العيش٠فطفق يتساءل فيما بينه وبين نفسه ٠ وهو يجر رجليه الى داره : « ذلك رزقى ، افهم ان امعائى لفظته ولكن ما للعيش يخرج وقد اصبته من فدوة فى الصباح ؟ »

البشير خـريـف

رائعـــــــــة

شعر : نـور الدين صمود

إذَا عَبرَتْ فَالْعَبِيرُ غِنَـاءٌ   تَأوَّهَ مِنْ دَفْقِـهِ الشَّـارِعُ
لِرَغْبَتِهِ ألْفُ كَفٍّ تُرِيـدُ   وَفِـي قَلْبِـهِ أمَـلٌ ضَارِعُ
وتَمْضِي الأُنُوثَـةُ مُنْسَابَةً   وَيَأْكُلُهَـا النَّظَرُ الْجَائِعُ

* * *

وفي السَّمْعِ أُنْشُودَةٌ ثَـرَّةٌ   تَفِيضُ حَنَانًا وَتَطْفَحُ بِشْرًا
مُؤَنَّثَـةُ انْوَقْـعِ مُخْضَرَّةٌ   كَرُوحِ الرَّبِيعِ تُدَاعِبُ زَهْرًا
كَنَبْعٍ مِنَ الشَّعْرِ ثَرِّ الْعَطَاءِ   كَدَنْدَنَةِ اللَّحْنِ عَانَقَ شِعْرًا

* * *

لِرَفْرَفَةِ النَّهْدِ الْفُ نِـدَاءٍ   تُفَسِّـرُهُ الْمُقَلُ الْجَـائِعَهْ
وَلِلْعِطْرِ مَـوْجٌ يَهُزُّ الْأَثِيرَ   فَتَسْتَيْقِظُ الْأَنْفُسُ الضَّائِعَهْ
أَزَارِعَةَ الطِّيبِ فَوْقَ الدُّرُوبِ   فَدَيْتُكِ مِـنْ فِتْنَـةٍ رَائِعَهْ

نور الدين صمـود

الحنـان المحـرم ! . . . .

قصة : بقلم ابن الواحة

عرفت صديقي (حسين) منذ امد طويل ، فقد درسنا معا في كلية العلوية بالعاصمة،وكنت مثله من ابناء الريف الذين ينزحون الى تونس لمواصلة الدراسة الثانوية . تعرفت عليه لاشتهاره بخلة بين الزملاء هي جمال الصوت . رزق الله زميلي صوتا لم اسمع في حياتي احسن منه وقعا ، ولا اكثر تأثيرا في النفس حتى ليخيل اليك اذا سمعته انك خرجت عن عالمك وسبحت في جو آخر ملؤه ما في النغم المنسكب المنساب من حساسية وعواطف وانفعالات . وكان صديقي لا يتردد البتة اذا سأله احدنا ان يغني ، بل يجد في ذلك لذة ، وكثيرا ما سبب ذلك له ولنا عقوبات مدرسية .

احببت صديقي وآنست اليه ، وآنس هو الى كذلك ، وتلازمنا فكنا دائما معا . الى السطر كان صديقي شديد الاعتدال في لهجته وهيأته واتصاله بالناس . كان على الرغم من انشاده الدائم ، غير مبتذل بين الزملاء بل كانوا يحترمونه ويبجلونه . ولم يكن صديقي شديد الذكاء ، ولكنه كان يتغلب على ذلك بالعمل الدائم والمثابرة على الدرس ، ولهذا كان لا يحبذ الخروج كثيرا ، بل كان يفضل البقاء ببيته الذي كثيرا ما استسنح الفرص لزيارته فيه .

كان البيت يقع بالطابق الرابع في عمارة بـ (رأس الدرب) ، والبيت في مجموعه يحتوي على غرفة صغيرة للنوم احتلها سرير وطاولة تكدست عليها الكتب والكراسات تكديسا ، وعلى مجاز صغير به مطبخ اهمله صديقي لاكله في المطابخ الشعبية بباب الجديد . وكان المكان الوحيد الذي يمكن ان نجلس فيه هو شرفة صغيرة تطل على الشارع المزدحم الذي تتراصف فيه عربات الباعة ويعلو ضجيجهم طيلة اليوم ثم ينصرفون الى بيوتهم بعد ان يداهمهم الليل وتبح حناجرهم من الزعيق والصراخ يحملون في جيوبهم دراهم معدودات وبقلوبهم امل في ربح اوفر في الغد وبحناجرهم تعب واعياء ، ويهدأ الشارع ، فاجلس الى صديقي نتحادث في الشرفة ، وقد اقفر الشارع الا من القطط الشاردة .

وبدأ صديقي يلاقي بعض المشاكل ، فقد تعلق به عدد كبير من فتيات الجيران بالعمارة شاء القدر ان يسمعن صوته الساحر الجذاب . وتهاطلت عليه قصاصات الورق تحمل حبهن ، وشوقهن ، والمهن ، ودموعهن . وكنا نجد القصاصات تحت الباب وبالمجاز واحيانا ترد بالبريد ، وسرى ذكره بالحي ، وعرفه الناس واقدم بعضهم فدعاه الى الحفلات الخاصة . ولكنه كان

يعرض عن كل ذلك ، ولا يرد على الفتيات ولا يعتنى بهن ، وكنت اشعر احيانا ان فى حديثه عن الجنس اللطيف خشونة ومرارة وكرها فى بعض الاحيان ، فهل صدم صديقى سابقا فى حبه يا ترى ؟ ولم اسأله لما اعرفه عنه من تكتم وكراهية الاعتراف ، كان صديقى ، وكنت لا اعرف عنه اكثر من اسمه واسم بلده وعمره ، ومع ذلك فقد كنا متفهمين لقواعد الصداقة فلم يصدم احدنا الآخر الا مرة واحدة • سألته اثناءها الا يهمل موهبته الفنية وان يعتنى بها وينتهج الفن ويعيش له ، فقال ان ذلك مستحيل ولما ساءلته عن الاسباب وأحرجته بالأسئلة غضب وكاد الأمر أن يؤول بنا الى القطيعة • واخيرا تركته وشأنه وآمنت بان لكل تصرف سببا، ولكنليس فى الامكان دائما ان نعرفه•

وزرته يوما فلم اجده بالبيت ، وجلست ارقب قدومه • وبدأ السأم يضايقنى فامتدت يدى الى الكتب والكراسات تعبث بها ، ووجدت ظرفا ، لقد كان عاديا جدا • وبدافع الفضول فتحته مبتسما ظنا منى انه من احدى المعجبات العاشقات ، وكم كانت دهشتى شديدة عندما سقطت منه حوالة بريدية ذات مبلغ ضخم من المال لا يطمع طالب من امثالنا نحن فى الحصول عليه • وحدقت مليا فى الاسم ، لقد كان اسمه ، وكان طابع الحوالة من العاصمة • وامتدت يدى الى الرسالة ففتحتها وقرأتها ، لقد كانت غاية فى الاختصار ، كان بها : (ارسل اليك هذا المبلغ راجية ان تقبله فأكون بذلك قد اديت واجبا حرمت من ادائه ادبيا ، لك قبلاتى) ـ ليس بالرسالة امضاء وكان خطها غاية فى الرداءة والاعوجاج • وحرت فى الرسالة والحوالة ، من المرسلة يا ترى ؟ امعجبة ثرية اعرض صديقى عن حبها فارادت شراءه بالمال ؟ ام عشيقة يلهو بها وباموالها فى تكتم وسر ؟ وحرت فى الامر ، وشغلت به ، ثم انصرفت ولما يات صديقى ، وصممت ان اخاطبه غدا فى الامر ، واستوضحه فيه ، ولكننى لم اتمكن من ذلك ، كان جد مشغول عندما قابلته ، كان فى حركة دائمة ، لتحضير بعض الاوراق واتمام بعض اجراءات سفره ، ثم سافر الى فرنسا ولم استفد منه شيئا فى الموضوع •

ومر الزمن ، بطيئا ، ساخرا ، وتغير بمروره كل شىء فى الحياة حولى ، فاتممت دراستى ولم اعد ذلك الطالب المشاكس المرح بل صرت رجل المجتمع العامل النشط ولم يبق لصديقى فى مخيلتى الا صورة جد باهتة اودت بها المشاكل ومحاها مرور الزمان والفراق ، من الغريب جدا اننا لم نتكاتب ، لقد حاولت من ناحيتى ان اجعله يراسلنى ولكننى فشلت مرتين فلم اكاتبه بعدها ••••••

حتى كانت ليلة ••• ليلة لم اكن اتوقع ان يعبث فيها القدر ذلك العبث ولا ان تحدث فيها تلك الحوادث بتتابع مدهش ، كانت ليلة زفافى ، نعم زفافى

انـا ، وقـد غص المنزل بالمدعوين ، كان يغـلي كخليـة النحـل ، وكـانت مسؤوليتي كعروس تتلخص في الوقار المصطنع الـذي يجب ان اتحلى بـه ، وفي اعطاء بعض التوجيهات التي اراها ضرورية لتحسين شيء ما او القيـام به ٠ وقدمت الفرقة الموسيقية ، كانت تتركب من بعض العازفين ومطرب ، ومطربة بلغت شهرتها الاوج ، يحبها الجمهور حبا هستيريا ٠٠٠ شرعت الجوقة في العزف ، وسرح الحاضرون في جو من المرح واللهو ، واخذ الطرب بلبي فنسيت نفسي واندفعت مـع الحاضرين ، وغنت المطربـة فاجادت واحسنت واخذتنا الى عالم سحري غيّب فيه شعورنا بالواقع ، وحلقنا مع انغام لحنها الى سماء حساسية لا منظورة تخلب اللب وتسحر الافئـدة ، ثم انسحبت الى الغرفة تاركة اكف الحاضرين تلتهب بتصفيق متواصل متوقد وكنت اصفق مع الحاضرين عندما همس لي احد الاصدقاء قائلا « هناك شخص يريد ان يراك » وقلت مازحا وهل هناك مانع ؟ دعه يدخل ٠ ثم انصرفت مرة اخرى الى شأني ولم افق الا على لمس بكتفي ، والتفت ، فـاذا بصديقي حسين يقف ورائي ، وجمدت قليلا ، ثم اندفعت اعانقه وارحب به ٠ وجلس قربي ، لقد تغير هو كذلك ، او هذا ما خيل لي ولكن نظرته العميقة ما زالت بها ذلـك الشعـاع الخافت ، وما زال وجهه كعادته ساكنا ، ليس به اي تعبير ٠٠٠ وسألته كثيرا عن حياته ، ودراسته فاعلمني انه تخرج مؤخرا وهو ينوي العمل ببـلاده واعتذر لي عن عدم مكاتبتي متعللا بكثرة الشواغل والدراسة ٠ وتذكرت فجأة انه يحسن الغناء فسألته اذا كان لا يرى مانعا من تشنيف اسماعنا بشيء من الحانه فقال « لا ادري اذا كان ذلك لائقا ، وعلى كل حال ان ذلك ما دام غنائي سيكون في عرسك انت لا غيرك » ٠ فامرت احد الاصدقاء بالاعلان عن ذلك . وانتصب صديقي امام المكروفون ، وبعد التشاور مع رئيس الجوقـة صعـد اللحن ٠٠٠ صعد اللحن ، حزينا ، خافتا ، ثم بدأ يعلو ويشتد ، وكأنه يعبر عن ثورة صاحبنا يعتلج بها فؤاد موجع ، محروم ٠ كان صديقي يغني بروحه وعواطفه ، كان يغني لنفسه لا لنا نحن ، كان بهيأته شيء يشعرك بانه ليس هنا ، وبأنه هنا في آن واحد ٠ شيء يسمو به عنك ويقربه منك ، وكان صوته القوي المعبر يعلو وينخفض باتزان محكم فنرتفع ونهوى معه وكاننـا لعبـة يلهو بها اللحن وتلعب بها الانغام . واظنني الوحيدالذي انتبهت الى وقوف المطربة بباب الغرفة ، واظنني انتبهت لذلك لهيأتها الغريبة ، كانت تقف منحنية الظهر ، وقد تركزت عيناها على صديقي ، وكان فمها منفتحا قليلا ويدهااليسرى تقبض على رقبتها كأنها تحاول خنق صوت يشرف على الانطلاق . ثم انطلق الصوت ، كان به الم وتحرق ٠٠٠ وحب ٠٠٠ قالت « حسين ! ٠٠٠ » ثم هوت الى الارض ، وقفز الحاضرون وكان اسرعنا اليها حسين ، فأخذ رأسها بين يديه ونظر اليها طويلا ، ثم حملها بين ساعديه واسرعت الى سيارتي لنقلها الى المستشفى ، ولا ادري كيف

لمعت الفكرة فى رأسى كالبرق فسألته « هل هى صاحبة الحوالة ؟» فالتفت الى مذعورا وقال:«ايةحوالة؟»فقلت عفوا،لقداطلعت صدفةعلى رسالةوحوالةارسلتهما اليك مجهولة اثناء دراستك بالعلوية » . فسكت طويلا حتى خلت انه نسى سؤالى واخيرا قال : نعم هى صاحبة الحوالة التى رأيتها ، وحوالات اخرى لم ترها .. ولم ينبس بعدها ببنت شفة ، واتضح عندى بعد ذلك ان حدسى الاول لم يخب ، فصديقى كان على اتصال بها سرا فى السابق وعند ما رجع الى وطنه بعد غيبة ست سنين لم يذهب لرؤيتها ، وصدمت هى عند ما رأته ، وسبب ذلك غشيانها ولكن الامر الوحيد الذى ما زال عندى مشكلا هو انى عرفت فى صديقى عدم ميله الى الفتيات حتى لو كن جميلات وثريات ، فما باله يرضى بمعاشرة فنانة متوسطة الجمال ، تكبره باضعاف عمره اشتهرت بصوتها ، وبشىء آخر يخجل اللسان من ذكره ؟ وبقيت اقلب الامر فى رأسى حتى وصلنا المستشفى ، وجاء الطبيب ، وبعد ان فحصها خرج ، وتبعناه ، فقال « الصدمة قوية ، ولا يمكن ان تعيش بعدها ، ان حياتها ساعات معدودات ! ... »

والتفت الى صديقى ، كان وجهه جامدا ، جامدا كالحجر ، وخرجنا ، واردت ان اهون عليه الامر ، فبدأت فى صب بعض الالفاظ الجوفاء التى يستعملها الناس عادة فى امثال تلك المواقف ، ولكنه سألنى ان اسكت ....

وماتت المطربة ، ومر شهر على الحادث ، لم ار خلاله صديقى حتى لقيته يوما صدفة فى مقهى ، وكان يجلس منفردا ، وجلست اليه نتحادث او اتحدث لانه كان يجيب باقتضاب ، ووصل حديثى الى المطربة ، فرأيت وجهه ينقبض فسألته عن سبب اهتمامه بها ، وعلاقته معها ، فقال بكل بساطة فى اللفظ ومرارة فى الصوت «انها .... امى ! ... »

ع . غ ابن الواحة

في نـــــدامة النديـم

شعـر : البشير الزريبي

تَرَنَّمَ حَتَى انْتِشَـاءِ النَّغَمْ   وَعَبَّ إلَى أَنْ تَرَدَّى الْأَلَمْ
وَزَاوَجَ فِـي حَانَةِ المُغْرِيَا   تِ انْدِفَاعَ الصِّبَا بِتَأبِّي النُّظُمْ
وَعَرْبَدَ لَمَّا اكْتَوَى بِالجَمَالِ   وَقَهْقَهَ أَنَّى احْتَفَى وَاغْتَنَمْ
فَكَمْ آنَسَتْهُ وُرُودُ الصَّبَاحِ   وَكَمْ شَتَّتَتْهُ خُطُوبُ الظُّلَمْ
وَعَادَ فَلَمْ تَتَّبِعْـهُ الأَمَانِي   وَلاَ أَمَّنَتْهُ عَـوَادِي العَدَمْ

تَوَلَّى الزَّمَانُ الحَبِيبُ الوَلِيُّ   وَضَاعَ الضِّيَاءُ السَّنِيُّ الأَشَمْ
وَثُبْتَ إلَى الذِكْرَيَاتِ الحِسَانِ   تُرَجِّي الرَّجَا وَتُبِيدُ السَّأَمْ
فَزَادَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْكَ الجَوَى   وَمِنْ أَيْنَ لِلجُرْحِ أنْ يَلْتَئِمْ
صَبَابَةُ عَهْـدٍ مَضَى بِالَّذِي   هَدَمْتَ وَمَا شِئْتَ أنْ يَنْهَدِمْ
وَدِدْتَ لَوَ أنَّ الَّذِي يَنْقَضِي   يُرَاجَعُ فِيهِ الحِسَابُ الأَهَمْ
وَلَكِنَّهَا الذِّكْرَيَاتُ افْتِتَانٌ   وَصَحْوٌ حَبِيبٌ مَشُوبٌ بِغَمْ
تَحَرَّقْ فَلَنْ تَسْتَعِيدَ السَّنَا   وَإنْ عَاوَدَتْكَ ضُرُوبُ الهِمَمْ
فَذَا الأَمْسُ غَابَتْ بَعِيدًا رُؤَاهُ   وَلَوْ دَاعَبَتْكَ بِوَهْجِ الحُمَمْ
نَضَارَةُ هَذَا الوُجُومِ المَقِيتِ   تَمَثَّلُ فِي افْقِـهِ المُدْلَهِمْ
هُوَ الدَّهْرُ يَحْبِسُ عَنْكَ الشَّهِيَّ   لِعِلْمِهِ أَنَّـكَ نِضْـوٌ نَهِـمْ

خلاصَةُ ماضِي الفتَى حسْرَةٌ تُضَافُ إلَى الحَاضِرِ المُرْتَطِمْ
تَمَهَّلْ فلاَ أنْتَ تَنْسَى النَّعِيمَ ولاَ أنْتَ تَقْوَى أمَامَ النِّقَمْ
وَمِثْلُ الَّذِي هَادَنَتْهُ الحَيَاةُ كَمِثْلِ الذِي بِأَسَاهَا اتَّسَمْ
فَمَا تَابَعَ الأُنْسَ غَيْرُ الأَسَى وَلاَ اعْقَبَ البُؤْسَ غَيْرُ النِّعَمْ
وَمَنْ يَكُ يُبْدِي ارْتِيَاحَ الرَّوَاسِي
لَيُخْفِي - يَقِينًا - هُمُومًا بِهِمْ

* * *

تَرَيَّثْ إِذَنْ لَيْسَ فِينَا الْهَنِيُّ
وَحَسْبُكَ فِي العَيْشِ أَنْ تَنْفَطِمْ
وَلَوْ شَارَفَ المَرْءُ سِرَّ الحَيَاةِ لَهَانَتْ عَلَيْهِ سُمُومُ السَّقَمْ
دُرُوبُ الأَنَامِ عَلَى جِنْسِهِمْ تَنَوَّعُ حَتَّى تُرَى تَنْهَدِمْ
وَمِنْ أَيْنَ لِلْمَرْءِ أَنْ يَرْتَضِيهِ ازْوِرَارُ المُنَى وَتَعَالِي القِمَمْ
تَهَافَتُ مَنْ يَزْدَهِيهِ المَنِيعُ لأَعْقَبَهُ السُّهْدُ بَلْهَ الأَلَمْ
تَحَسَّرْ ! تَبَرَّمْ ! كَذَا تَنْثَنِي تُقِيمُ اللَّيَالِي أَسِيرَ النَّدَمْ
وَمِنْ شَقْوَةِ الأَمْسِ تَدْمِي الرُّؤَى فَيَبْتُرُ حِسَّكَ سَيْفُ الهَرَمْ
وَأَوْلَى بِذِي اللُّبِّ أَنْ يَسْتَوِي عَلَى عَرْشِ هَذَا الوُجُودِ الأَصَمْ
فَلاَ رَاجَعَ الرُّزْءَ فِيمَا نَأَى وَلاَ طَاوَعَ الضَّيْمَ فِيمَا احْتَدَمْ
وَلَكِنْ تَعَلَّقَ نَبْعَ الحَيَاةِ وَمِنْهُ اسْتَمَدَّ الرِّضَا وَالحُلُمْ

البشير الزريبي

مختارات من خميلة الخيام

بقلم : ابراهيم العريض

في عام 1931 عندما توجهت لأول مرة للأدب المقارن عن لي ان اترجم رباعيات الخيام من اصلها الفارسي ولكن اختلاف عبقرية اللغتين اضطرني الى التصرف في تنميق المعاني وتحاشي لوكها وتكرارها .

وانما فعلت في العربية ما فعله فتزجرالد في الانكليزية ... فحاولت جهدي ان اجعل ترجمتي اقربها الى « روح » الخيام . ولذلك كنت ارجع الى فتزجرالد – رغم المامي بالاصل الفارسي – في ترتيب الافكار التي تتخلل الرباعيات – لأنها في الاصل مفككة العرى مقطعة الاسباب – ولاجل المحافظة على وحدة السياق فيها .

فهذه الوحدة في السياق التي تلائم – ولاشيء غيرها يلائم – طبيعة لغة الانجلوسكسون لجلوة معاني الخيام الشعرية ، وكما حققها فتزجرالد بعبقريته ، تتساوق مع طبيعة لغتنا التي طابعها ايضا – كالانكليزية – خطابي . فهما من هذه الناحية متشابهان منطقا ، فوق تساوقهما في الاصل الفارسي الذي سمته الطاغية – في غنائيته – الزخرفة والترجيع .

تلك تجربة مرت بي في عهد الشباب اعرض على القارىء اثمارها وعبرتي في كل ما فعلت عبرة الخيام نفسه التي سجلها في الرباعية التالية :

أأغتر بالذكر بعد الزوال ؟
وأزعم اني عزيز المثال ؟
وفي الكاس مثل الوف الحباب
تولد من مزجها بالتتالي ؟

1) أفق يانديم ! استهل الصباح
وباكر صبوحك نخب الملاح
فمكثك بين الندامى قليل
ولا رجعة لك بعد الرواح

* * *

2) لقد صاح بي هاتف في السبات
أفيقوا لرشف الطلى ياغفاة

فما حقق الحلم مثل الحباب
ولا جـدد العمر غيـر السقـاة

* * *

11) وكم زهـرة نشأت كالجنين
فقبلت الشمس منها الجبين
فمـا للريـاح تهب ببشـرى
وتسرع في نعيها بعد حين ؟

* * *

12) ويـاليت شعري أتلك الزهـور
عرائس نعمى جلتها الستـور
فمن قبلة الشمس هذا الحياء
ومن لؤلؤ الطـل ذاك السرور

* * *

27) وأيـن الـذين أثـاروا الجـدال
وكان الهدى بحثهم والضـلال
أشار الـردى لهم بـالسكوت
ففضوا النزاع .. وشدّوا الرحـال

* * *

28) وكم في شبابي تخايلت تيها
اذا جئت يومـا لبحث فقيها
ولكنـي دائمـا كنت انهي
بحوثي ،كما كنت اشرع فيها

46) وآمنت في كل شيئ سناك
بلى! عشي الطرف عن ان يراك
فليس الذي شف عنه الزجاج
سوى جمرة الهبتها يداك
* * *
47) الهي! في مسرح الدهر وار
سراجك مابين ابهى الدراري
وتمثيل ادواره في يديك
وعيناك وحدهما في انتظار
* * *
57) اذا كرمتي هي غرس الجليل
فمالي اصغي لقال وقيل ؟
وان لم يكن هو خلاّقها
فمن مدّها لشراك العقول ؟
* * *
58) وتلك الجنان أتبقى قصارى
على كل من لايدير العقارا
أليس بأفضل منها اذن
جهنّم - عامرة بالسكارى
* * *
92) اذا آذنت بانخماد حياتي
فشيع مشبوبة الراح ذاتي

وتحت ظـلال الكروم لقبرى
بأوراقهـا هي كفـن رفـاتي

* * *

95) آآلهة الخمر ! بئس التجنـي
قلبتـنّ للصب ظهـر المجـن

طرحتنّ في الكاس برد وقاري
عرضتنّ جـدّي للهـو المغنّي

* * *

97) لئن هتك الكاس في الحان ستري
ووشحنـي بيـن اهـلي بكفـر

فمـا أسفي غيـر انـي أضعت
في الصحو اجمل ايام عمري

* * *

98) تولـت ليـالي الربيـع القصار
واسدل دون الشباب الستـار

وعهدي بطيـر الصبـا شاديـا
لي الله ! أنيّ أنّي . . . اين طار؟

ابـراهيم العـريض

الحرية في الشعر الجزائري المعاصر

بقلم : صالح الخرفي

(4)

حرية الحرية

لم تزل الحرية فى الجزائر مخنوقة الانفاس ، منذ ان تسمم الجو بانفاس المستبد الدخيل ، وما فتئت ترزح فى قيود وسلاسل منذ ان سلط عليها ارهابه ، وكان تمتعها بالنسمة الطيبة ، او الخطوة الطليقة ، اشبه شيء بتمتع السجين فى قعر الزنزانة المظلمة بنور الحياة عند ما يفتح السجان باب الزنزانة لا ليضفى على ظلماتها نورا ، ولكن ليزداد طمأنينة على فريسته ٠

فما كان المستعمر يرخى الزمام للحرية ـ فى شتى واجهاتها التى تحدثنا عنها فى الحلقات السابقة ـ تجاوبا منه مع مبادىء الثورة الفرنسية التى يتشدق بشرف الانتساب اليها ، ولا تسامحا منه مع الحرية المهيضة الجناح لتسلم شعثها فتعود الى سابق عهد الانطلاق، كلا، ليس بهذا ولا ذاك، ولكنها الخدعة الحربية والتراجع التكتيكي ، لمعرفة خبايا العدو ، وتحديد الهدف ، لتأخذ المعركة مجراها من جديد ، وقد اكتسبت من تسليط الاضواء الكاشفة وضوحا وجلاء ٠

وكانت الحرية فى الجزائر متمثلة فى الشعب المؤمن بها ، تستغل فترات التغاضى الاستعمارى استغلالا واسع النطاق ، جلى المقاصد ، مستميتة فى استغلالها ذاك ، مهما كلفها من متاعب ، وجر عليها من تبعات ، وقد يصل التحدى السافر الى حد الاضرار بالمعركة التى تحتاج الى غير قليل من الاناة والتحكم فى زمام العاطفة ٠

وكان مدلول الحرية متجسما فى مفكرى الشعب واقلامهم يطفو على صدر الصحافة كلما رحب الصدر لذلك ، ويبرز للمناقشة ، ويتصدى للتحاكك النظرى ليأخذ طريقه الى الاستقرار الذهنى فى اوساط الشعب ، وكان الخمود الذهنى تحت تأثير الجهل والخرافات ، هو الذى استلزم هذه الطريقة الملتوية لتقرير الافكار وتوضيحها حتى تصل فى رسوخها الى مستوى العقيدة ٠

فى جريدة (وادى ميزاب) نجد مقالا تحت هذا العنوان :

ما هى الحرية الحقة ؟

ويستعرض صاحب المقال وجهات النظر فى مفهوم الحرية ، مفتتحا كل وجهة

---

* راجع الفكر ـ السنة 7 ـ الاعداد 6 ـ 7 ـ 8

بهذه الجملة : ومنهم من يرى ٠٠٠٠ وفى ضمير الغائبين هذا ظلال قاتمة من التقييد الفكرى ، وارهاب صارخ يحول دون المجابهة الصريحة لصاحب الرأى وناهيك اذا كان صاحب الرأى هو الخصم والحكم ٠ هذا من ناحية ومن اخرى نشتم رائحة اسلوب : اياك اعنى واسمعى يا جارة ، وليتضح الامر واكبنى ــ اخى القارىء ــ فى تتبع بعض فقرات المقال :

« ومنهم من يرى ان الحرية الحقة فى تقييد الانسان عن كل شىء ، عن التفكير ، عن التربية ، عن النشر ، عن القول ، عن الاجتماع عن العمل ، عن السعى ، عن التملك ، عن التظلم ، عن الجولان ، عن ٠٠٠ عن ٠ ٠ ٠ »

وجل انت ــ ايها القارىء ــ ملء حريتك فى هذه النقط التى تتخلل العنعنة واستنتج من ابهامها ما شئت من ارهاب فكرى واضح ، ومن خرسها ما يحلو لك من آفــاق ملؤها الاختنــاق بنوعيه المادى والادبى ، ولنتابع بقية الفقرات لنرى الكناية التى هى ابلغ من التصريح :

« ونسى هؤلاء ان الله الذى خلقهم خلق مثلهم من بنى آدم ، وكرمهم وحملهم فى البر والبحــر ، ورزقهم مــن الطيبات ، وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا ، وجعل لهم ما فى الارض جميعا ، ولم يجعلها حقا ممتازا لامة خاصة او قومية خاصة ، فمحاولة انتزاع شىء مما ملكهم الله ، هى منازعة الله فى تدبير ملكه ، ولا يخفى ما فى ذلك من سوء المنقلب ، ومرتع البغى وخيم »

وفى الجملتين الاخيرتين سورة عارمة ووعيد صارخ ٠

ولكى نتلمس الجانب المقابل لمفهوم الحرية ، والذى يرمى الكاتب التى ترسيخه فى ذهن القارىء نتابع المقال :

ومنهم من يرى ان الحرية الحقة هى : حرية التفكير والقول والعمل فى دائرة الدين الحق ، الا وهو الدين الاسلامى الخالص ، ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين ٠ »

وتتبلور الفكرة ، وتتوفر لها امكانيات التميز :

«هذه هىالحرية الحقة التىتستمد نورها مننور الله، هذه هىالحرية الحقةالتى تستمد نورها من الكتاب العزيز والسنة القويمة ، التى تستمد نورها من الفطرة البشرية السليمة ، والعقول الانسانية الراجحة ٠ »

ويصل اليراع الى الاستفهام الاستفزازى ، والتساؤل الاثارى :

« ولكن اين نجدها ؟ ومتى نجدها ؟ وكيف نجدها ؟ الجواب عن هذا موكول الى المستقبل ، الحرية كالشمس لا بد منها للحياة ٠ »

« ولكىنعرف انالمحور الذىتدورحوله الثورة واهدافها هونفسالمحور الذى دارت حوله الحركات السياسية والادبية منذ فجرها ، وان مفهوم الحرية لم يحدث

على جوهره اى تغيير ، وان تغايرت الطرق دون الوصول الى تحقيقه ، لنكون على طرف الثمام من ذلك نستمر مع المقال :

« الحرية نوعان : عامة ، وخاصة •

العامة : ان يكون للامة الحق فى حكم نفسها بنفسها بما يقتضيه الشرع والقانون داخل حدودها الطبيعية بادارة شؤونها ، وخارج حدودهـا بتمثيـل نفسها لدى الامم •

والامة التى هذا شأنها تسمى حرة ، والتى لم تكن كذلك مستعبدة مقيدة ، ولا تكون حرة مستعبدة فى آن واحد ، لان الحرية جزء برأسه لا يتجزأ ، فاما ان يكون كله واما ان يذهب كله ، وهى بطبيعتها تؤخذ ولا تعطى شأن الشىء الغالى الثمين • » (1)

وكانت الصعداء التى تتنفسها الحرية فى الابيات الشعرية لا تقل عن اختها فى السطور النثرية ، بل كان الشعر هو المجلى فى حلبة التغاضى الاستعمارى، فما لمح بوادره الا وارخى العنان للجموح ، وعانق الحرية فى وضح النهـار ، وناجاه وناجته ، بل طارحها صريح الغرام علـى مـرأى ومسمع من الرقيب والعاذل ، وكثيرا ما تجسمت له فى صورة حبيب ، حكمت عليه الاقدار بالبعد فلم يزدد الا تمكنا من قلب المحب وقضت عليه بالحرمان فعاش والمحب فى وصل من التناجى الروحى :

لا تلمنى فى حبهـا وهـواهـا ... لست اختار ما حييت سواها
هى عينى ومهجتـى وضميرى ... ان روحـى ومـا اليـه فـداها
ان عمـرى ضحيـة لأراهـا ... كوكبا ساطعـا ببرج عـلاهـا
فهنـائى مـوكل بـرضـاهـا ... وشقـائى مسلـم لشقـاهـا

وفى الابيات الثلاثة التالية يتراى لك قتام الثورة ، وتستشف ملامح المعركة التى ستبشر بها الايام :

ان قلبى فى عشقهـا لا يبـالى ... تنطوى الارض ام يخر سماها
قد قضى الله ان تكون كصوت ... وقضى ان يرد روحى صداها
ان فى العشق رحمة وعذابـا ... وعذاب العشيق شوب جناها

وفى صورة العاطفة يتجنى العاشق على الحبيب فيحمله تبعة الهجران ويتجه اليه ببنان الاتهام بان له يدا فى هذا الصدود ، مع البراءة الواقعية من ذلك :

لم انـل من حبيبى الا صدودا ... وصدود الحبيب نـار وراهـا
هجرتنى من غير ذنب ، ولكن ... كل ذنبى فى كون قلبى اصطفاها
قيـدتنى وخلفتنـى اسـيرا ... فى يد الوجـد محرقا بلظاها

(1) انظر المقال فى جريدة (وادى ميزاب) 6 افريل 1927 عدد 26 المكتبة الوطنية

فارقتني بلا وداع ، وخافت … من وداعي تعلقي برداها
تركتني ، ولم تراع هيامي … عذبت مهجتي بشحط نواها
هكذا سنة المحبة تقضي … بشقائي ما دمت ابغي لقاها
ايه يا دهر فارفقن بقلب … يحمل الخطب والهموم سواها

وتقصر اليد عن الوصال ، وتضيق الخطوة عن اللقاء ، فيتعلق الامل بالجناح جناح الطائر ، وطالما كان رسول العشاق :

ايها الطائر المحلق فوقي … هل اجد فيك حكمة وانتباها
أترى هل تكون مني رسولا … يحمل السر للحبيب وجاها
بلغها مقالة من صديق … حين تأتي ديارها وتراها
ان ذاك الحبيب ما زال خلا … يحفظ الود والعهود قصاها
كاد حبي لها يبدد جسمي … بسهام بين الضلوع رماها
قل لها شهدت مني جميعا … فعساها ترثي لحالي ٠٠ عساها

لعلك اخي القارىء ـ تقدم رجلا وتؤخر اخرى في التسليم بان هذه الابيات قيلت في الحرية ، ولم تقل في الحب ، انا معك في هذا التردد ولكن ما حيلتنا والقصيدة بعنوان ضخم ملفت للنظر : (الحرية) وفي مناسبة لها تجاوبها الكامل مع الحرية ، وهي عيد 14 جويلية ، عيد الحرية الفرنسية ، (2) وبين هذا الوضوح الجلي فيالعنوان، والطلسم الخفي في القصيدة اتركك ايها القارىء في سبحات فكرية عميقة تنفذ بها الى اغوار الحياة التي عاشها الادب الجزائري ففرضت عليه ان يكون سافرا ومقنعا في آن واحد ٠

ولم تزل الاعياد الفرنسية في الجزائر مبعثا للاستفزاز ، ومذكاة للجرح تجدد الامة ، وتهيج ناره ، الامر الذي دفع القضية الوطنية الى الامام ، ولا ننسى ما للاحتفال المئوي للاحتلال الفرنسي من يد في تعبئة الشعور الوطني ، والتكتل الحزبي ٠ واثارة المعركة السياسية ٠

ويمر 14 جويلية مر الكرام على الشعب وهو في غيبوبة وهنية ، وبالرغم من ذلك لا تحول الغيبوبة دونه ودون الملامح القاتمة لهذا العيد الذي يذكر المستعبد بحريته المداسة ، هذا العيد الذي يحتفل بالحرية مظهرا،ويئدها مخبرا العيد الذي يضفي على الدخيل مسحة من البهجة والحبور ، ويترك المواطن يقول :

« يوم 14 جويلية يحتفل فيه الفرنسيون بذكرى حريتهم ، بعد ما كانوا تحت نير الاستعباد والاستبداد الملوكي الفرنسي ، وقد نالوها بعد جهاد طويل ، وتضحيات مريرة ، *نالوها بعد ما كانت فرنسا بمثابة الامة الجزائرية اليوم* ٠٠

(2) قيلت القصيدة في 14 جويلية من سنة 1928 ، ونشرت في عدد 93 من جريدة (وادي ميزاب)

اما فرنسا فقد فازت ، فها هي اليوم تتمتع بثمرات جهادها الوطني فهل يسمح الدهر للامة الجزائرية بشعاع من هذا العيد ؟ ؟ ؟ »

ولا امر على الشعب من ذكريات الحربين العالميتين ، ففيهما فقد زهرة شبابه دفاعا عن فرنسا ، ومنهما حرمته فرنسا زهرة حريته ، واي مأتم اشد وقعا على القلب من هذه الذكريات التي تعيد الى الاذهان اطياف آلاف وعشرات آلاف ضحت فداء (لام الوطن) وتركت وراءها الثكل واليتم ، فكان جزاء الام لبنيها الاوفياء العقوق الصارج ، شأن القطة التي تأكل صغارها :

اذا كان اعناق البرية حرة — فاعناقنا مغلولة في السلاسل
وانا لمسجونون وسط ديارنا — خضوعا لقانون من (الام) عادل
ولكننا ندعى اذا الحرب شمرت — نقي (امنا) من عاديات القنابل
وقي (أمنا) شبابنا وكهولنا — وكم خلفوا من امهات ثواكل
صواعق يلقاها بنونا نوازلا — فوا حسرتا من شؤم تلك النوازل
فكم قصمت منهم ظهور ضياغم — وكم ثم من شهم قضى وحلاحل
وكم تيمت ابنائنا وبناتنا — وكم ايمت يا قومنا من حلائل
وكم ذارأت يا قوم عيني بواكيا — فضين بكاء بالدموع الهوامل
ومن بعد ذا شعبي يسام مهانة — ويحرم شعبي من حقوق كوافل
فهذا لعمر الله اهون حالنا — فان تذهلوا عنا فلست بذاهل
الا فليفق شعبي من النوم برهة — فانا لفي شغل من النوم شاغل (3)

اما الاعياد الاسلامية فلم تزل متنفسا لكل مختنق ، تستحضر الماضي فستفز الحاضر ، ولم تزل تهوى على الاغلال التي ترزح الحرية فيها ، فتكسرها وكانت هذه الاعياد بمثابة الآلة الحديدية في يد السجين كل ضربة منها معناها انفراط حلقة من سلاسل التسخير ، وكان المولد النبوي اوسع المواسم الاسلامية تجاوبا مع الشعب لانه يحمل في طياته معنى الثورة ، والبعث وقلب الاوضاع وهو ما تفتقر اليه الحالة في الجزائر :

هلالك يا فخر العروبة لم يزل — كما كان، لكن خانه الطعن والضرب
وان الذي اجلاه للناس كلهم — ظبي في ملمات الشدائد لا تنبو
مضت نجدة القوم السراة وودعت — كان لم يكن من بيننا رجل ندب
وانا وان هنا وهانت ديارنا — هوانا ، فما زلنا الى عزة نصبو
أننساه والايام تشهد انه — اشاد لنا ما دونه المرتقى الصعب
هلال اذا ما الحول حال تجددت — لنا فيه آمال يحققها الذب

(3) القصيدة لمحمد الهادي السنوسي الزاهري ، انظر جريدة النهضة التونسية 3 ماي 1925 ، عدد 572 • المكتبة الوطنية •

وقد تتلاشى اسباب البأس والقوة ، فيتعلق حبل النجاة بالشفاعة ، والتوسل بالرسول للتدخل فى المأساة بدعوة صالحة يتوجه بها الى الله لاستثارة الهمم :

محمد هـذا حال امتـك ، التى — عرفنا، وهذا الحال فى شرعنا عيب
فان دامت الايام فينا كما ترى — فضيق قبـر دون ذلتنـا رحب
لعلك تدعو الله فى القبر قانتا — فيهتف فينا هاتف الله : انهبوا(4)

وفى هذه الاعياد المتقابلة كانت الحرية تتأرجح بين وثبـة اخـرى ، وتطفـو وترسو ، فـاذا طفت ناجـاها رمضان حمـود حبيبـا ، واذا رست ناغاها محمد العيـد هـزارا :

نـاجـنـى نجـوى ادكـار — واشـد لى ليـل نـهـار
قـد دنـا فـك الاسـار — يـا هـزارى
عبثـا ابكى وتبكـى شجنـا — تـارة سـرا وطـورا علنـا
لم نجد فى الارض من يرثى لنا — غير واه فى مثـل الزنـد وارى
فاصطبـر مثـل اصطبـارى — يـا هـزارى
انـت رمـزى وشعـارى — انـت سيفـى ذو الفقـار
انت مـزمـارى وطـارى — يـا هـزارى
غير انـا فاتنـا نيـل المنى — فتـولانـى فتـور وعـنـا
خبت فى الشدو كما خبت انا — فى حيـاتى فتمنيت احتضارى
وتبـرمـت بـدارى — يـا هـزارى (5)

وعاشت الحرية بين الالغاز والرموز تارة ، وبين الصراحة والاعلان اخرى حتى انفتح لها الافق على سعة اطرافه فى ليلة غرة نوفمبر 1954 فمطت جناحيهـا للانطلاقة الثورية الاسطورية التى ما زلنا نعيش معجزاتها وبرزت سافرة المحيا تعانق الثائر الذى لاحقهـا الى القمم • وستلاحقـه اليوم الى السهول والمدن والعواصم لتجد الميدان المتسع الذى يثار لماضيها المختنق •

صالح الخرفى

---

(4) القصيدة لنفس الشاعر انظر جريدة (وادى ميزاب) 14 سبتمبر 1928 عدد 100 ، المكتبة الوطنية •

(5) الابيات لمحمد العيد ، انظر كتاب محمد العيد لابى القاسم سعد الله صفحة 221 طبعة دار المعارف •

فى الفضاء الخارجى

شعر : لسعد الغزال

كشفنا خبايا ٱلبر وٱلبحر، وٱغتدت ... لنا في ٱكتشافات ٱلفضاء بَوَادِرُ
فبالعقل مهّدنا ٱلدروبَ بأرضنا ... وفي البحر ذي ٱلأخطار سارت بَوَاخِرُ
وقد قرّب ٱلإنسانُ أطرافَ عالمٍ ... طويل عريض ، إنما العقل قَادِرُ
فأصبح من بالصين وٱلهند عندنا ... ومن ببلاد الغرب، في الحين يَحْضُرُ
نكلِّم من كان قريبا ونائيا ... وفي كل قطر للخطابة مِنْبَرُ
ونسمع بالمذياع أَخْبَارَ مَنْ دَنَا ... وأخبارَ مَنْ أَقْصَاهُمُ ـ ٱلْيَوْم مَهْجَرُ

* * *

وذي أُمَمٌ ـ في الكون ـ تختال حُرَّةً ... ومن قلبها بالسلم نادت حَنَاجِرُ
وتلك شعوبٌ مَرْمَرَتْ وَتَلَعْثَمَتْ ... وَأَرْسَلَتِ ٱلفوضى ، وبالخوف تَشْعُرُ
وقد حلّق الصاروخ في الجو وانبرى ... يهدّدنا ٱلإعصارُ ، وٱلموت يُنْذِرُ
وقالوا : الفضاءُ الخارجيُّ لنا ؛ فَمَنْ ... تَطَاوَلَ فِي هذا ٱلفضاء يُكَسَّرُ
ومن حدّثته النفس ان يخرق ٱلفضا ... سيمحقه الصاروخ ؛ إِذْ هُوَ عَابِرُ

* * *

لَنَا غَيْرُ هَذَا ٱلكونِ ، دُنْيَا جَدِيدَةٌ ... إِلَيْهَا عُيُونُ ٱلناسِ تَرْنُو وتَنْظُرُ
هي ٱلقمر ٱلأعلى ، فإن تَكُ راغبًا ... فهيّا معي ، إني إليه مُسَافِرُ
كَرِهْتُ بلادًا من قديم عرفتها ... وعُدّةُ أَهْلِيهَا سِلَاحٌ مُشَهَّرُ

وفيها شُعُـوبٌ تبتغي مَحْقَ بَعْضِهَا وزورٌ ، وبُهْتَانٌ ، ومَكْـرٌ ، ومُنْكَرُ
فكُنْ أيها ٱلإنسانُ بالعقل طَامحًا إلى قِمَمِ الأَفـلاك ، إنَّكَ ظَـافِرُ
لَكَ ٱلجوُّ وٱلأَفلاك فاسْبَحْ كَمَا تَشَا وحَلِّقْ وسِرْ . إذْ أَنْتَ إِنْسٌ وَطَائِرُ
وخلِّ لنا ٱلأَرض ٱلتي قد كَرِهْتَهَا سيبقى بها جنسان : عُرْبٌ وبَربَرُ
وإن عُدْتُمُ بَعْدَ ٱغتراب لأَرضنـا فَرِقْقًـا بِنَـا . بالله لا تتجبـروا
فإن سكن ٱلإنسان كـوكبـه غـدا علَينا يَصُبُّ ٱلشُّهْبَ ـ دَوْمًا ـ وَيَنْثُرُ
وها نحن بالمرصاد نَرْقُبُ سَعْيَكُمْ ولكنّنَـا نَخْشَى إذَا لَـمْ تُسَافِرُوا

سعـد الغـزال

اصـلاح خطـا

وردت بعض الاخطاء فى قصيد « عصفورتـان » المنشور بعـدد مـاى لسنة 1962 :

الصواب : وقـد غـنى علـى سمـع الزمـان
الخطـا : وقـد غـنى فى سمـع الـزمـان

الصواب : كنـت فيـه مملكـا أسيـانـا
الخطـا : كنت فيـه مملكـا أسمـانـا

الصواب : وغـدونـا فـى دوحـه جيـرانـا
الخطـا : نحـن فـى دوحـة المسا جيرانـا

الصواب : هو ـ هى من لاعج الصبابة صيغت
الخطـا : هى ـ من لاعج الصبابة صيغت

الصواب : لـم يهو شمسا
الخطـا : لـم يهو شمـا

انهيار قلب

بقلم ستيفان سفايغ
ترجمة ابو العيد دودو

(2)

تحسس طريقه الى المدينة الصغيرة ، ووقف امام واجهة تعرض اشياء مختلفة خاصة باستعمال السياح ، قمصان وشباك ، مدارع وصنانير واربطة ، كتب وحلويات تراصفت هناك ، فشكلت بطريق الصدفة اهراما فنية وطوابق ملونة • ولكن نظرته كانت تحدق فى شيء واحد لا اكثر ، شيء كان موضوعا فى اهمال بين الركام الرشيق : هراوة سميكة مغلظة ذات رأس حديدية مدببة ، يثقل حملها على اليد ، ولكن ضربتها مريعة قاتلة • « الموت ••• الموت للكلب ! » وسببت له هذه الفكرة دوارا مختلطا كادت تكون له لذة • ودفعته الى داخل الدكان فاشترى تلك الهراوة ذات العقدة بثمن بخس • وما ان قبض بيديه على هذا الشيء الثقيل الخطر حتى احس بأنه اقوى : ان السلاح يعيد الى الضعيف دائما ثقته بنفسه • وشعر بعضلاته تتصلب كانها قد استمدت من الهراوة قوة • « القتل ••• القتل للكلب ! » همهم بذلك لنفسه ، وقد غدت خطواته بدون شعور اثبت واسرع واقوم • فسار ، بل جرى يصعد طريق الشاطىء ويهبط ، وهو يتنفس عرقا ، ولكن بفضل اللذة المتفجرة فى اعماقه اكثر منه بفضل السير السريع ، لان يده كانت تشد بقوة على الملمس القوى •

ودلف بسلاحه الى برودة الظلال الزرق فى القاعة وانطلقت عيناه فى التو تبحثان عن العدو اللامنظور • وفعلا ، كانوا جالسين معا فى الزاوية فوق سلال التبن ، يمتصون الويسكى والصودا بواسطة قصبات التبن، ويتحدثون فى انس كسول : زوجته وابنته والثلاثة الحتميون • وفكر فى صمت ويده قابضة على العقدة الثقيلة • « من هو ؟ من هو ؟ ••• اى واحد منهم اهشم رأسه ؟اى واحد ؟ ••• اى واحد ؟ ••• » ولكن ارنا قفزت ، مسيئة فهم بحثه المضطرب ، واتجهت نحوه • « انت هنا يا ابى ! لقد بحثت عنك فى كل مكان • تصور ، انالسيد فون ميدفيتس سيأخذنا معه فى سيارته الفيات، وسنسافر على طول البحيرة حتى مدينة ديسنزانو • » وفى اثناء ذلك ادنت المائدة منه كأنها كانت تنتظر منه ان يشكره على هذه الدعوة • وقام السادة فى ادب ليصافحوه • فارتعدت فرائصه • ولكن الهراوة كانت تنام فوق ذراعه فى لين ورفق مهدئة روع حضورهم الدافىء • وفى غيبوبة ارادته تناول الايدى المقدمة اليه الواحدة بعد الاخرى • ثم جلس فى صمت واخرج لفافة وطفق يمضغفىحنق

---

* انظر الفكر ـ العدد 8 ـ السنة 7

اسنانه ضمن كومة التبغ الطرى · وبعد ذلك واصلوا حديثهم باللغة الفرنسية متجاهلين وجوده ، يتخلل ذلك كله ضحك متعاظم مختلط الاصوات ·

وجلس هو فى صمت ، مطرقا ، يعض لفافته بشدة بحيث سال اللعاب الاسمر فوق اسنانه · وفكر · « معهم الحق ··· معهم الحق ··· ينبغى للمرء ان يبصق على ··· الآن فقط مددت له يدى ! ··· للثلاثة كلهم ، مع انى أعرف أن واحدا منهم هو النذل ··· ثم اجلس معه فى هدوء حول نفس المائدة !··· ولا اقتله ، لا ، لا اقتله ، بل اصافحه فى ادب ! ان من حقهم ان يضحكوا على ··· فهاهم يتحدثون دونما اهتمام بى ، كأنى لست موجودا هنا ! ··· كأنى اثوى تحت التراب ··· ومع ان الاثنتين ، ارنا وامها ، تعرفان تماما انى اجهل الفرنسية ··· مع انهما تعرفان ذلك ، فان واحدة منهما لا توجه الى سؤالا عن شىء ما ولو تظاهرا ، وذلك لكيلا اجلس هنا ضحكة هزءة الى درجة فظيعة ··· فانا هواء بالنسبة لهما ، هواء ··· انا ذيل كريه ، شىء متعب ، مزعج ··· شىء مخجل ومع ذلك لا يطرد ، لمجرد انه يكسب الفلوس ، الفلوس ، الفلوس · هذه الفلوس الشقية الملعونة التى افسدتهما بها ··· هذه الفلوس التى تحمل لعنة الاله ··· لا تخاطباننى بكلمة واحدة ، هى زوجتى ، وفلذة كبدى ، لديهما فقط نظرات لهؤلاء الكسالى ، هؤلاء المختالين المصقولين ! ··· كيف تضاحكانهم مدغدغات كما لو انهم ادخلوا ايديهم فى لحمهما ! ·· وانا صابر على هذا كله ! ··· اجلس هنا اصغى الى حديثهم واسمع ضحكهم ولا افهم شيئا ، ومع ذلك اجلس هنا عوض ان انهال عليهم ضربا بمجامع يدى ··· ان اهشم رؤوسهم بهذه الهراوة وافرقهم قبل ان يتجاوزوا تحت سمعى وبصرى ··· اسمح بهذا كله واجلس هنا صامتا ، بليدا ، جبانا ··· جبانا ··· جبانا ··· »

وفى هذه اللحظة سأله الضابط الايطالى بالمانية مكسرة وهو يتناول القداحة · « هل تسمح ؟ · » فانتبه ، فزعا ، من افكاره الملتهبة وحدق فيه فى غضب · وبعد لحظة تصلبت يداه فوق ملمس الهراوة والغضب لا يزال يغلى فى صدره · ثم ارتخى فمه واعوج وتلاشى بعد ذلك فى ضحكة بليدة · وردد بصوت فيه رنة حاسمة · « آه اسمح ···· طبعا اسمح ، هية ··· اسمح بكل شىء ، بكل شىء ، كل ما املك موضوع تحت تصرفك ··· فى وسع المرء ان يسمح لنفسه بفعل كل شىء معى ··· »

فنظر اليه الضابط فى استغراب · ان جهله باللغة لم يتح فهم كل شىء ، الا ان هذا الضحك المعوج الفاتر ازعجه · فنهض بحركة لا ارادية ، هو السيد الالمانى ، بينما ابيض لون المرأتين حتى غدا كالجير ـ وظل الجو لحظة متوترا بينهم لا ركز له كالبرهة الوجيزة بين البرق والرعد الصاعق · وخفتت بعد ذلك حدة الاعوجاج المتوحش وسقطت الهراوة من اليد المتصلبة · وعاد الرجل العجوز الى نفسه كالكلب المضروب ثم اخذ يسعل فى حيرة ويتنحنح

وقد افزعته شجاعته نفسها · واسرعت ارنا الى مواصلة الحديث المقطوع لتخفف من حدة الوضع المؤلم · فاجاب البارون الالماني في مرح ظاهر ، وما هي الا لحظة حتى تـواصل الحديث والثرثرة من جديد دونما اهتمام · وظل الرجل العجوز صامتاً بينهم ، منصرفا عنهم كليا بحيث يخيل لمن رآه انه نائم كانت الهراوة القوية قد سقطت من يده وتدلت بين قدميه دونما هدف ، وكان رأسه يزداد هبوطا وتزحلقا فوق اليد المسنودة · ولكن لم يعد احد يعيره اهتماما : كان صخب الحديث يتدحرج مرنا فوق صمته وسكوته البليغ · وبين حين وآخر كان الزبد يتطاير عبر كلمات المزاح الصاخبة · اما هو فقد كان مستسلما لظلام لا نهائي غارقاً في الخجل والالم ·

* * * *

نهض الرجال الثلاثة ، وتبعتهم ارنا بسرعة · ثم قامت امها بحركة ابطأ · ومضوا ، إستجابة لاقتراح طرب ، الى غـرفة الموسيقى المجاورة · ولم يـروا ان من الضروري توجيه دعوة خاصة الى النائم البليد · ولم يستيقظ هو الا حين افزعه الفراغ المفاجيء حوله كما يفزع النائم احساسه بالبرد ليـلا حين تنزاح عنه البطانية ويتمسح البرد بجسده العاري · ولما القى ببصره لا اراديا الى الكراسي الفارغة ، تعالت موسيقى الجاز مثيرة صاخبة من بهو الغـرفة المجاورة · ودوت في سمعه الضحكات وهتافات التشجيع · لقد كانوا يرقصون في الغرفة المجاورة · اجل ، الرقص ، الرقص دائما فهما تحسنانها جـدا ! وذلك ليستمر غليان الدماء في حواسهم ، ليحتك احدهما بالآخر الى ان ينضج الشواء · الرقص مساء وليلا وفي رابعة النهار ، بهذا يؤنس الكسالى المتوانون النساء · والتقط الهراوة الغليظة وتبعهم · ووقف عند عتبة البـاب · كان الفارس الالماني جالسا الى المعزف يقرقع ، نصف ملتفت لينظر في نفس الوقت الى الراقصين ، فوق ملمس المعزف لحنا شعبيا امريكيا كان قد حفظه تقريبا · كانت ارنا تراقص الضابط ، وكانت امها قوية ثقيلة الحركة وهي تدفع ، في جهد ، الكونت اوبالدي المملل الى الامام ثم تجره في ايقاع · غير ان الـرجل العجـوز كان يحدق في ارنـا ومراقصها فقط · كيف يضع الكلب السلوقي يده في خفة وتحلق فوق الكتف الناعمة كان هذا الكائن ملكه وحده! وكيف يلتصق جسدها بجسده مستسلما آملا في نفس الوقت ، كيف انتصب احدهما قبالة الآخر امامه في شهوة يسيطران عليها في جهد ! أجل ، لقد كان هذا هو الذي ـ ان هذين الجسدين ينمان بوضوح عن تعارف، عن تآلف يسري في دمائهما · اجل ، كان هذا هو الذي ـ لا بد ان يكون هو ، لقد قرأ ذلك في عينيه نصف المغمضتين ، وهما مع ذلك تفيضان ، تشعان في غمرة ـ هذا الحومـان الشارد وقد تذكرتا متعة حارة ـ كان هذا هو السارق الذي قام بهجوم ليلي على هذا الجسد الذي يختفي تحت ثوب نصف شفاف واخترقه ، ابنته ، ابنته ! وتقدم لا اراديا ليأخذها منه ، غير انها لم تلاحظه · كانت مستسلمة بكل حركاتها

للايقاع ، لضغط يد الغاوى التى تقودها خفية : تماوجت منداحة فى تيار الموسيقى الناعم ، وقد مال رأسها الى الخلف وابتل فمها وانفتح ٠ لقد نسيت نفسها فى نشوة سابغة فلم تشعر لا بالزمان ولا بالمكان ولا بالرجل العجوز المرتعد المتنهد الذى كان يحدق فيها بنظرات دامية الوميض وفى غضب بالـغ اللذة ٠ كانت تحس بنفسها فقط ، باعضائهـا المنسرحة ، مستسلمة لطغيان الاغنية الراقصة الصاخبة المرهقة ٠ كانت تحس بنفسها فقط وبانفاس الرجل التى تحرقها تشتهيها ، بالذراع القـوية التى تحيط بها وتثير فيها غـريزة الدفاع عن النفس ، فهى تخشى ان تندفع نحوه ، فى دوامـة هذا الحومـان المخدر ، بشفتيها المشتهيتين وانفاس استسلامها الملتهبة ٠ كان الرجل العجوز يحس بهذا كله ، يحس به فى دمـائه المرتجة : عندما تبتعد عنه فى اثنـاء الرقص ، يخيل اليه انها قد ضاعت منه الى الابد ٠

انقطعت الموسيقى فجأة فى اثناء الرقص كما ينقطع الوتر ٠ فنهض البارون الالمانى وضحك ٠ « كفى العزف لكم ٠ الآن اريد ان ارقص انا نفسى ٠» وافق الجميع فى مرح وانحلت الجماعة من ثنائية الرقص الى خلوة مرتخية حائمة ٠

وعاد الرجل العجوز مرة اخرى الى نفسه : ايقوم بعمل ما او يقول شيئا ! لا ينبغى له ان يقف هكذا فى غباء : فوجوده هنا غير مرغوب فيه ! ومرت بـه زوجته والتعب يبدو على ملامحها ٠ ولكنها مع ذلك كانت راضية ٠ وثمة امده الغضب بقرار مفاجىء ٠ فاعترض سبيلها وتنهد فى جزع ٠ « تعالى ، اريد ان اكلمك ٠» فتطلعت اليه مندهشة : كانت لآلىء العرق تندى جبينه الشاحب وعيناه توزعان نظرات تائهة ٠ ماذا يريد يا ترى ؟ ولماذا يريد ازعاجها فى هذه اللحظة بالذات ؟ وارتسمت على شفتيها كلمة مترددة ، الا ان سلوكه اظهر لها شيئا غريبا جدا ، خطرا جدا ، ذكرها بغتة بثوراته الغضبى فى السابق فتبعته ضد ارادتها ٠ والتفتت قبل ذلك الى السادة معتذرة « اسمحوا لى لحظة ايهـا السادة »

وفكر الهائج فى حنق « انها تستميحهم عذرا ! عند مـا نهضنا من المائـدة لا تستاذنانى فى ذلك ٠ انا كلب فى نظرهما ، ان خرقة قدم يدوسها المرء من كل جهة ٠ الحق معهما ، الحق معهما مادمت صابرا على ذلك ٠»

وانتظرت بحواجب مرتفعة بشدة ، ووقف هو امامهـا بشفة مرتجفة كانه تلميذ يقف امام معلمه ٠ واخيرا قالت له متحدية « والآن ؟ » فاخذ يغمغم فى عجز « لا اريد ٠٠٠ لا اريد ٠٠ لا اريد ان ٠٠٠ ان تختلطا بهؤلاء الناس ٠»

فرفعت نظرها اليه فى غضب ، متعمدة عدم الفهم ، كما لو انـه قـد اساء اليها بالذات : « اى ناس تعنى ؟ »

فاشار براسه المنحنى الى غرفة الموسيقى وهو حنق « هؤلاء ٠٠٠ لا يعجبنى هذا ٠٠٠ لا اريد ذلك ٠٠٠»

« ولماذا ؟ »

وفكر فى مرارة ٠ « انها تخاطبنى دائما بهذه اللهجة المستنطقة كما لو انى خادمها ٠» ثم همهم فى ثورة ٠ « لدى اسبابى ٠٠٠ اسبابى المعينة تماما ٠٠٠ لا يوافقنى ٠٠٠ لا اريد ان تتحدث ارنا مع هؤلاء الرجال ٠٠٠ ليس من واجبى ان اقول كل شىء ٠٠٠»

فرفضت فى كبرياء وغطرسة ٠ « اذا فانا آسفة ٠ انى اجد الثلاثة الرجال ذوى اخلاق حسنة للغاية والاختلاط بهم احسن بكثير من الاختلاط الذى كنا نجده فى بلدنا ٠»

وازداد اختناقه فى غضب ٠ « الاختلاط بهم احسن ! هؤلاء اللصوص ٠٠٠ هؤلاء ٠٠٠ هؤلاء ٠» ثم دوى فجأة ٠ « لا اريـد ذلك ٠٠٠ امنع ذلك ٠٠٠ افهمت ؟ »

فاجابت فى برودة « لا ٠٠ لم افهم شيئا على الاطلاق ٠ لا اعرف لماذا افسد على ابنتى مرحها وتسليتها ٠٠٠»

وارتج كمن تلقى ضربة قـوية ٠ « تسليتها ٠٠٠ تسليتها ٠٠٠» واحمر وجهه وغرق جبينه فى رطوبة العرق ـ تلمست يده الفراغ باحثة عن الهراوة الثقيلة ليتوكأ عليها او يضرب بها ٠ ولكنه كان قد نسيها ٠ فاعاده ذلك الى نفسه ثانية فانتصر عليها ـ تمسحت بقلبه فجأة ارادة دافئة ٠ فاقترب منها كانه يريد ان يمسك يدها ٠ ورق صوته حتى كاد يكون متسولا ٠

«انت ٠٠٠ انت لا تفهميننى ٠٠٠ انـا لا اريـد شيئا لنفسى ٠٠٠ انى ارجوكما فقط ٠٠٠ انـه اول رجـاء لى منذ سنوات : فلنسافر من هنا ٠٠٠ بعيدا ، الى فلورانسا ، الى روما ، كما تريدان ، اوافق على كل شىء ٠٠٠ فى مقدوركما ان تقررا اى شىء ، كما تريدان ٠٠٠ فلنترك هذا المكان فقط ٠٠٠ اليوم ٠٠ اليوم ٠٠٠ انا ٠٠٠ انا لم اعد احتمل ذلك ٠٠ لا استطيع ٠»

قطبت جبينها فى دهشة واستنكار ٠

« اليوم !؟ نسافر اليوم ؟ مـا هذه الافكار المضحكة ! ألمجرد انك لا تحب السادة ؟

انك لست ملزما بالاتصال بهم ٠»

ظل ثمة واقفا امامها ، رافعا يديه فى توسل ورجاء ٠ « قلت لك انى لم اعد احتمل ذلك ٠٠٠ لا استطيع ، لا استطيع ٠ ولا تسأليني بعد ، ارجوك ٠٠٠

ثقى اننى لا استطيع احتمال ذلك • لا استطيع ذلك ••• افعلى مرة شيئا من اجلى ••• مرة واحدة من اجلى •••»

كان المعزف قد عاد يرسل الطنين والرنين من الجهة الاخرى ، فتطلعت الى فوق وقد استولى عليها الضجيج والصخب الهادر • الا ان منظره هو كان مضحكا الى درجة يتعذر وصفها • كان الرجل الصغير السمين احمر الوجه كانه كان قد تلقى ركلة وكانت عيناه تائهتين مفتوحتين ويداه تتدليان من اكمامه القصيرة : كان منظره ، وهو واقف ، مؤلما محزنا • ولكن احاسيسها الناعمة تجمدت فى كلمة قالتها فى حزم • « هذا مستحيل ! لقد وعدناهم بان نسافر معهم ••• انسافر غدا والحال اننا قد اجرنا الغرف لمدة ثلاثة اسابيع ؟ ••• انك ••• انت تعرض نفسك للضحك والسخرية ••• أنا لا ارى اقل داع للسفر ••• لذا فانى ابقى هنا ، وارنا ايضا •••»

وقطع كلامها فى صخب بليد تعب •

« اذا فى وسعى انا ان اذهب ، اليس كذلك ، انى ازعج هنا لا اكثر ••• اقلق راحتكما فقط •••»

انتصب جسده المنحنى المقوس واستحالت يداه الى مجامع إكف متوعدة • وكان عرق الغضب ينتفض خطرا فى جبينه الملتهب • كل شيء فيه كان متحفزا يريد ان ينطلق ، كلمة أو ضربة • غير انه استدار فجأة وهو يرتجف وتحسس طريقه بسرعة متزايدة ، يجر ساقيه الثقيلتين نحو الدرج وصعد الدرجات بسرعة كالمطارد •

* * *

اسرع يصعد الدرجات ، الآن الى الغرفة فقط ، ليكون وحيدا ، ليخضع نفسه ويعصر اعصابه حتى لا يرتكب عملا شنيعا • وسرعان ما بلغ الطابق الاعلى • وثمة ـ احس كان مخلبا ملتهبا يمزق احشاءه من داخل ـ وثمة تعلق بالحائط وقد ابيض وجهه حتى صار كالجير • اوه ، هذا الالم المسعور الموقد ـ الماجن ، وضغط اسنانه لكيلا يصرخ ويصيح باعلى صوته ثم انهد جسده فى نوح • لقد عرف فى الحال ماذا دهاه : مغص الصفراء ، عارض من تلك العوارض التى طالما عذبته فى الايام الاخيرة ، ولكنها لم تعذبه قط عذابا شيطانيا كهذه المرة • « تجنب ما يثيرك » هذا ما قاله له الطبيب ـ تذكر ذلك فى نفس اللحظة ، فى غمرة الالم الموجع • فى دوامة الالم اخذ يسخر من نفسه فى خنق • « ما اسهل قول ذلك ، تجنب ما يثيرك ••• ينبغى له ان يرينى ذلك مرة ، هو السيد الاستاذ ، كيف يتجنب المرء ما يثيره اذا كان ••• اوه ••• اوه •••»

وتنهد بشدة • لقد كان المخلب اللامنظور ينهش لحمه ويعذب جسده فى قسوة • فانسحب فى جهد الى باب البهو وفتحه وارتمى فوق التخت وعض

على المخدة باسنانه · وما ان اضطجع حتى خفتت حدة الالم وهدأت الاظافر الملتهبة التي كانت تنغرز فى امعائه الجريحة · وتذكر ان « لا بد ان اضع لفافة على بطنى واتناول القطرات وبعدها سيتحسن حالى بسرعة · » الا انه لم يكن ثمة من يساعده · لا احد وهو نفسه لا يجد القدرة على الذهاب الى الغرفة المجاورة او الى زر الجرس فقط · وفكر فى مرارة · « لا احد هنا · انى ساموت فى يوم ما كالكلب · فانا اعرف تماما ماذا يوجعنى هنا ··· انه ليس الصفراء ··· بل هو الموت الذى ينمو فى اعماقى ··· انا اعرف انى رجل منهار ، فلا العلاجات ولا الاساتذة يستطيعون مساعدتى ··· الانسان لا يبل من مرضه فى سنه الخمسين ··· انى اعرف ماذا يثقب هنا ويحفر فى جسدى ، انه الموت ، فالسنوات التى بقيت لى لن تكون حياة ، ستكون موتا فقط ، موتا فقط ··· ولكن متى حييت انا ··· عشت لنفسى ، لنفسى فقط ؟ اية حياة كانت : كنت اجمع الفلوس دائما ، الفلوس ، الفلوس ، وادخرها للآخرين فقط · والآن ماذا افدت من ذلك ؟ كانت لى امرأة · تزوجتها طفلة وسهرت عليها ورعيت جسدها فولدت لى طفلة ، من سنة الى اخرى كنت اعيش معها يضمنا فراش واحد ولنا انفاس واحدة ··· والآن ، اين هى الآن ··· انى لم اعد اعرف محياها ، لم اعد اعرف صوتها ··· انها تخاطبنى كانى غريب عنها ولا تفكر فى حياتى ابدا ··· لقد اصبحت غريبة عنى منذ سنوات ··· فاين ذهب هذا كله ، اين ذهب ؟ ··· وقد كانت لى طفلة تعهدتها يداى بالحفظ والرعاية · لقد كنت اعتقد آنذاك اننى سأبدأ حياة جديدة اسعد واهنأ مما كنت اتصور انا نفسى ، فالمرء عندها لا يموت تماما ··· وثمة تتركه ليلا وتذهب لترتمى فى احضان الرجال ··· ان موتى سيكون لى وحدى ··· لنفسى فقط ··· فانا بالنسبة للآخرين قدمت قبل الآن ··· يا الهى ، يا الهى ، انى لم اكن قط وحيدا مثل الآن ··· »

كان المخلب ينقض احيانا ثم يهدأ من جديد · ولكن الالم الآخر كان يدق صدغيه فى اصرار وبصورة متزايدة ، افكاره ، هذه الحصيات الصلدة المدببة المحرقة دونما رحمة كانت تخز جبينه : لاتفكر الآن ، لا تفكر · وخلع السترة والصدرية بسرعة ـ وارتعد جسده المترهل البشع تحت القميص المجوف · وضغط بيده ، حذرا ، مكان الالم فاحس « انا مجرد هذا الذى يؤلم هنا ، انا مجرد هذا ، هذه القطعة الحارة من جسدى ··· مجرد هذا الذى يحفر فى داخلى لا يزال ملكى ، هذا مرضى ، موتى ·· انا مجرد هذا ··· هذا لا يعنى اننى مستشار اللجنة وان لى زوجة وبنتا وفلوسا ودكانا ··· لم يعد يعنى ذلك · ان هذا فقط حقيقة ، هذا الذى احسه باصبعى ، جسدى والحار فى داخله الذى يؤلمنى ··· وما عداه جنون ، لم يعد ذا معنى ··· لان ما يؤلمنى هنا يؤلمنى وحدى··وما يقلقنى هنا يقلقنىانا وحدى···فهما لم تعودا تفهماننى ولم اعد انا بدورى افهمهما ··· اننى وحيد مع نفسى ، وهذا شىء لم احس

به قط • ولكنى الآن اعرف معنى ذلك وانا مضطجع هنا احس بالموت ينمو تحت جلدى ، عرفت ذلك بعد فوات الاوان ، فى السنة الخمسين التى يكاد الموت فيها يزهق ارواحنا ، الآن ، فى الوقت الذى ترقص فيه زوجتى وابنتى وتتنزهان او تهيمان ، هاتـان الفاجرتان ، الآن عـرفت اننى كنت اعيش من اجلهما فقط ، من اجل هاتين اللتين لا تشكراننى على ذلك ، ولم اعش لنفسى قط ، لم اعش لها ساعة واحدة ••• ولكن ماذا يهمنى من امرهما ••• ماذا يهمنى من امرهما ••• لماذا افكر فيهما وهما لا تفكران فى ؟ ••• افضل ان اموت على ان احظى بشفقتهما ••• ماذا يهمنى من امرهما بعد •••»

وهمدت آلامه تدريجيا ، خطوة بعد خطوة : ان اليد الحانقة لم تعد تنغرز بشدة فى جسده المتوجع ، الا ان شيئا رطبا بقى بعد ان خفت الآلام او كادت ، كان ثمة شىء غريب يضغطه من داخل ويحفر قبوا فى اعماقه ، كان مستلقيا على ظهره ، وعيناه مغمضتان يصغى ، فى انتبـاه ، الى هـذا السحب القوى والتأكل البطىء : لقد احس كأن قوة غريبة مجهولة تحفر شيئا فى حنايـاه بواسطة آلة كانت مدببة فى اول الامر ثم تثلمت ، احس بشىء يرتخى وينحل فى اعماقه ليفا فليفا • فتمزقه الآن لم يعد يؤلمه ، اذ انه لم يعد وحشيا كما كان قبل ذلك ، ولكن شيئا بـدأ ينتفـخ ويعظم ويتغضن فى داخلـه بهدوء وسكينة ، ثمة شىء بدأ يموت ببطء • كل الاشياء التى خبرها واحبها تلاشت فى هذه الشعلة البطيئة التأكل • لقد احترق كل شىء واسود وتورم قبل ان يتساقط فحما هشا فى وحل فاتر من اللامبلاة • ان شيئا ما قد حدث ، فقد احس به رطبا لزجا وهو مضطجع يفكر فى حياته بشغف • ان شيئا ما قـد توقف ، انتهى • فما هو يا ترى ؟ وشرع يصغى ويصغى وسرعان ما بدأ قلبه ينهار تدريجيا •

* * *

كان مستلقيا على ظهره ، مغمض العينين ، فى الغرفة المظلمة قليلا ، وهو لا يزال نصف مستيقظ نصف حالم • وبين الحلم واليقظة خيل اليه فى غمرة احاسيسه المختلطة هكذا : لقد خيل اليه ان شيئا لزجا يسيل من مكان ما (من جرح غريب عنه لا يؤلمه) ، يسيل حارا فى اعماقه ، وكأن دمه ينزف فى دمائـه • كان ثمة تيار خفى يسيل بسرعة دون ان يؤلمه ، ينساب كالدموع ، فكانت القطرات تساقط فى فتور وانسياب ، وكل قطرة منها تصيب القلب فى الصميم • كان قلبـه المظلم يمتص ، فى صمت وهـدوء ، هـذا السائل الغريب ، يمتصه كاسفنجة • ثم بدأ يثقل ويتلاطم متكسرا فوق جدار صدره ، الى ان امتلأ تدريجيا وفاض وثقل ، فعاد ينحدر ممددا اطنابه ساحبا عضلاته المتوترة • كان قلبه المعذب يهبط وينقاد لثقله • والآن (كم اوجعه هذا !) ، الآن تملص قلبه الثقيل من الياف اللحم وبدأ يغرق ، ينحط دونمـا اسراع

وتمزق ورجفة ـ رسا فى اعماقه ببطء تام ، لم يهبط كالحجر ولا كالفاكهة الساقطة ، لا ، بل كاسفنجة ناشفة · كان يغيض ويغوص فى فراغ وفتور ، فى لا مكان تحت ، خارجا عن ذاته هو ، فى ليل لانهائى · وفجـأة شَمـل الصمت الرهيب المكان الذى كان يحتله هذا القلب الحار المعذب·لقد تثاءب ثمة شيء فارغ بارد رهيب · لم يعد يقطر ولم يعد يدق : لقد همد داخله ، مات تماما · وتكور صدره ، مرتعشا مجوفا مظلما ، حول هذا اللاشيء الصامت ـ اللامدرك ·

كان هذا الاحساس الحلمي قويا والارتباك عميقا الى درجة ان الرجل العجوز عند ما صحا ، تلمس الجانب الايسر من صدره لا اراديا ، وكأنه لم يعد يحمل قلبه بين جنبيه · ولكن ، الحمد لله ! كان لا يزال ثمة شيء يـدق فى بـلادة وايقاع تحت الاصابع المتلمسة · ومع ذلك كان كأن قلبه قد ضاع منه وكأن دقاته مجرد نبض اصم فى الفراغ · فالغريب فى الامر : لقد خيل اليـه ان جسده قد انفصل عنه، فلم يعد ثمة الم موجع ولم تعد هناك ذكريات تعذبه وترجف اوصاله · لقد صمت كل شيء فى داخله وتصلب وتحجر · وفكر · « كيف حدث هذا ؟ قبل حين فقط كان يؤلمنى كثيرا ··· قبل حين فقط كان فى اعماقى شيء حار جدا ··· كانت اليافى تهتز كلهـا · فمـاذا جرى لى يا ترى ؟» واصغى الى نفسه ، كشيء مجوف ، ليرى ما اذا كان قلبه قد همد ، ولكن هذا السيلان والخرير ، هذا التقطير والطرق كان بعيدا جدا ـ اصغى واصغى ـ ، ولكن لا شيء لا شيء ، لا شيء يرجع الصدى · لا شيء يوجعه ، لا شيء يتفجر ، لا شيء يـؤلمه : لا بد ان يكون داخله فارغـا اسود كجوف شجرة محروقة · وخيل اليه فجاة كانه قد مات او ان شيئا فيه قد قضى ، فدمه كان متوقفا فى صمت رهيب · حتى جسده كان مستلقيا تحته كجثة باردة · لقد خشى ان يتحسسه بيده الدافئة ·

* * *

واصغى الى نفسه : انه لم يسمع ان دقات النواقيس الآتية من البحيرة تدق ساعاتها داخل غرفته باستمرار ، كل ساعة يلفها الفجر المتزايد · اما حوله فكان الظلام ينمو ويصبغ الاشياء بذلك السائل الغريب ، حتى السماء فى مربع النافذة اختفت فى الظلام التام · ولكنه هو لم يلاحظ ذلك · فقد كان يحدق فى الظلام الذى يسود اعماقه لا غير ، كان ينصت الى الفراغ فى ذاته وكانه يصغى الى موته ·

وفجأة تعالت الضحكات والهمهمات من الغرفة المجاورة · واشتعل الضوء فى مكان قريب ـ تدفق شعاع منه عبر الباب المسند لا غير · فنهض فزعا : زوجته ، ابنته ! ستجدانه بعـد حين فى فـراشه ، وتسألانه ! وشد ازرار سترته وصدريته بسرعة : هل هما فى حاجة الى معرفة العارض الذى الم به ، وماذا يهمهما ذلك ؟

لكن المرأتين لم تبحثا عنه . لعلهما كانتا مستعجلتين ، فقد دق ناقوس الغداء دقته الثالثة . والظاهر انهما كانتا تتبرجان : كان يسمع كل حركة عبر الباب المفتوح . فالآن فتحتا الدرج ، الآن وضعتا الخواتم الطنانة فى هدوء فوق المغسل ، الآن رمتا الاحذية فوق الارض . وكانتا فى خلال ذلك تتحدثان : كل كلمة ، كل مقطع كان ينساب فى سمعه بوضوح كريه . كان حديثهما فى اول الامر يدور حول السادة ، حول صدفة الرحلة القصيرة ، وعلى العلوم كان حديثا ماجنا متعثرا يسيرا مختلطا فى اثناء الغسل والانحناء والتنظيف ، ثم انتقلتا فجأة الى الحديث عنه .

فتساءلت ارنا وهى متعجبة من تفكيرها فيه فى هذا الوقت المتأخر . « اين ابى يا ترى » « ومن اين لى ان اعرف ذلك ؟ » ـ كان هذا صوت امها . لقد غضبت لمجرد ذكره . « لعله ينتظر فى البهو تحت ، ويقرأ اسعار البورصة للمرة المائة فى جريدة « فرانكفورتر تسايتونغ » ـ فيما عدا ذلك لا يهتم بشىء على الاطلاق . هل تعتقدين انه شاهد البحيرة مرة ؟ لقد اخبرنى ظهر اليوم بانه ليس معجبا بهذا المكان ، فهو يريد ان نسافر اليوم . »

ورن صوت ارنا من جديد . « نسافر اليوم ؟

ولماذا يا ترى ؟ .. »

« لا اعلم . ومن يستطيع معرفة طبائعه ؟ ان اختلاطنا لا يعجبه ، فالظاهر انه لا يحب رؤية السادة معنا ـ لعله يشعر بانه غير لائق بهم . حقا انه لمن العار ان يلف دوما بثياب مكسرة وياقة مفتوحة . ينبغى لك ، لك ان تنبهيه الى ذلك ، على الاقل ليظهر فى المساء بمظهر يليق به ، فهو يسمع لك . واليوم قبل الظهر ... لقد خيل الى ان الارض ستبتلعنى حتما ، عند ما وبخ « طبننطا » بسبب القداحة ... »

« اجل يا اماه ... كيف حدث ذلك ؟ ... لقد اردت ان اسالك سلفا ماذا جرى لابى ؟ انى لم اره هكذا قط ... حقا لقد فزعت . »

« اوه ... كان سىء المزاج لا اكثر...لعل اسعار البورصة قد هبطت... او لاننا تحدثنا بالفرنسية ... انه لا يستطيع رؤية الآخرين مرحين ... انك لم تلاحظى ذلك : عند ما كنا نحن نرقص كان هو واقفا عند الباب كقاتل خلف الشجرة ... السفر ! السفر فى الحال ! لمجرد انه اراد ذلك فجأة ... اذا كان هذا لم يعجبه ، فينبغى له ان يتركنا نظل على مرحنا ... ولكنى لا اهتم بمزاجه ، فليقل ويفعل ما يريد . »

وانقطع الحوار . الظاهر انهما كانتا قد انتهتا من غسلة المساء فى اثناء الحوار : اجل ، لقد فتح الباب وخرجتا الآن من الغرفة ، فطقطق زر المصباح ومات الحوار .

كان الرجل العجوز فوق الاريكة فى صمت . لقد سمع كل كلمة . ولكن الغريب ان ذلك لم يعد يؤلمه ، لم يوجعه اطلاقا . فالشيء الذى كان قبلا يدق ويمزق ، هذه الساعة المتوثبة وقفت صامتة فى صدره ، لا بد ان تكون قد تحطمت . فان اى شيء لم يرتج فى غمرة هذا التماس الحاد ... لا غضب ، لا كره ... لا شيء ... وقفل ازرار ملابسه فى هدوء ونزل الدرج فى حذر وجلس الى مائدتهما وكانه يجالس ناسا غرباء .

. . . .

لم يكلمهما فى تلك الامسية ، وهما ايضا لم تلاحظا سكوته المتوعد كمجامع الكف . عاد الى غرفته من غير تحية واضطجع فى فراشه واطفأ النور . اما زوجته فلم تعد من سهرتها الا فى ساعة متأخرة من الليل . ربما انها قد ظنته نائما ، فانها خلعت ثيابها فى الظلام . وبعد لحظة سمع انفاسها الثقيلة الهنيئة

كان وحيدا مع نفسه ، يحدق فى فراغ الليل اللامتناهى . والى جانبه كان ثمة شيء مضطجع يتنفس بعمق : حاول ان يتذكر ان هذا الجسد الذى يستنشق نفس الهواء فى نفس الغرفة هو نفس الجسد الذى كان ملكه ، عرفه متفتحا يافعا ، وهب له طفلة وارتبط به باعمق اسرار الدم . حاول جاهدا ان يتذكر ان هذا الجسد الدافىء الطرى الذى يرتاح الى جانبه ويستطيع ان يلمسه بيده كان مرة حياة فى حياته . والغريب : ان الذكريات لم تعد تثير مشاعره . فلم يكن يسمع هذه الانفاس الا كما يسمع الامواج الصغيرة المتهامسة عبر النافذة وهى تقبل حصى الشاطىء فى قرقرة . كل ذلك بعيدا عديم الكيان ، فهناك بعد مجرد جوار ، صدفة وغرابة : لقد انتهى ، انتهى الى الابد .

وارتعدت مفاصله مرة اخرى : لقد انفتح باب غرفة ابنته المجاورة فى هدوء تام . « اذا فاليوم مرة اخرى » ـ وشعر بوخزة صغيرة فى قلبه الذى ظنه مات وارتجف لحظة شيء كالعصب قبل ان يموت ثم انتهى امر ذلك ايضا . « فلتفعل ما يحلو لها ! ماذا يهمنى من امرها بعد ! »

واستلقى فوق المخدة من جديد ، والظلام يسيل رطبا فى صدغيه المؤلمين . ثم سرت فى دمائه برودة زرقاء خيرة . وسرعان ما ظللت افكاره الكليلة سنة نحيلة .

* * *

عندما استيقظت الزوجة فى الصباح رأت زوجها يرتدى المعطف والقبعة فسألته وهى لا تزال بين النوم واليقظة .

« ماذا تفعل هنا ؟ »

ولكنه لم يلتفت اليها ، بل ظل دونما اهتمام يضع ملابسه الليلية فى الحقيبة اليدوية . « انت تعلمين انى قررت العودة الى البلد . سآخذ الضرورى فقط . اما الباقى فان فى وسعكما ارساله الى فيما بعد »

واجفلت المرأة • ماذا جرى ؟ انها لم تسمع صوته هكذا قط : كانت الكلمات تندفع من بين اسنانه باردة جامدة تماما • ووثبت من الفراش بكلتا قدميها • « انتظر ••• سنسافر نحن ايضا ، فقد اخبرت ارنا بذلك ••• »

غير انه اشار في رفض بات • « لا ••• لا ••• لاتهتما بي • » وتقدم نحو الباب من غير ان ينظر حوله • كان عليه ان يضع الحقيبة للحظة فوق الارض ، وذلك لينزع المزلاج• وفي هذه اللحظة المرتجفة تذكر : الف مرة وضع الحقائب النموذجية امام ابواب الاجانب على هذه الصورة ، وذلك قبل ان يخرج من عندهم مقوس الظهر وهو يودعهم في ذلة على ان يلتقي بهم عند القيام بالمهمات التالية • اما هنا فانه لم يعد له اى نوع من العمل : هكذا تنازل عن كل تحية• ودونما نظرة ، دونما كلمة التقط الحقيبة ثانية واوصد الباب ، مرتجفا ، بينه وبين حياته الماضية •

* * *

لم تفهم الام والبنت حقيقة ما جرى • الا ان قسوته الظاهرة وقرار السفر المفاجى كانا قد اقلقاهما • وسرعان ما بدأتا تكتبان اليه الرسائل المطولة الى البلدة في المانيا الجنوبية ، محاولتين تفسير ما غمض عليهما ، فقد كانتا تظنان ان ثمة سوء تفاهم • وسألتاه فيها في حنان ورقة واهتمام بالغ كيف كانت سفرته وكيف وصل الى البلد واعربتا عن استعدادهما لقطع السفرة والعودة الى البلدة في اى وقت اراد ، ولكنه لم يجب • فكتبتا رسائل مستعجلة وارسلتا اليه البرقيات : لم يرد جواب • وكل ما وصل من الدكان هو المبلغ الذى اعتبرته احدى الرسائل شيئا ضروريا : حوالة بريدية تحمل طابع الدكان من غير ان تخط فوقها كلمة ، من غير سلام •

ودفعتهما هذه الحال العويصة الخانقة الى الاسراع بالعودة الى البلد • ومع انهما كانتا قد ارسلتا برقية تتضمن خبر وصولهما فانهما لم تجدا احدا ينتظرهما في المحطة•حتى في البيت لم تجدا شيئا معدا : ان الرجل العجوز ، كما ذكر الموظفون قد وضع البرقية فوق المكتب وذهب دون ان يأمر بشيء • وفي المساء ، كانتا تتناولان طعام العشاء ، سمعتا اخيرا صوت الباب : وثبتا تستقبلانه ، فحدق فيهما مستغربا ـ الظاهر انه نسي البرقية ـ دون ان يبدو على ملامحه تعبير خاص ، وصبر ، في جمود على عناق ابنته • وتركهما تقودانه الى غرفة الاكل وترويان له • ولكنه لم يوجه اليهما اسئلة ، بل كان يمتص سكارته في صمت ، فتارة يقتصد في الاجابة وتارة اخرى يتجاهل السؤال الموجه اليه : كانه نائم وعيناه مفتوحتان • واخيرا نهض في جهد وذهب الى غرفته •

بقي الحال هكذا في الايام التالية•لقد حاولت المرأة المهمومة عبثا ان تكلمه : كلما ازداد الحاحها عليه ازداد تملصه منها • شيء ما كان مسدودا فيه ، اصبح مغلقا ، مدخلا مسورا • كان لا يزال يجلس معهما الى مائدة الاكل ولكنه كان

يلزم الصمت طوال الوقت اذا كان فى بيته ضيوف ، فلا يشارك فى شىء ٠ وحين تقع انظار الضيوف عليه فى اثناء الاحاديث ، كانت تستبد بهؤلاء احاسيس مؤلمة ، لان نظرته الميتة كانت ضحلة بليدة وهي تحدق فى الفراغ حولهم ٠

وسرعان ما لاحظ حتى اغرب الناس غرابة اطوار الرجل العجوز ٠ حتى معارفه كانوا قد بدأوا يتحدثون عنه خفية اذا التقوا به فى الشارع : كان ، وهو احد اغنياء المدينة ، يتسلل كالسائل على طول الجدار وقبعته مائلة مكسرة ، وقد علق بسترته رماد السيكار ٠ كان يهتز عند كل خطوة ويتمايل ويحدث نفسه بصوت نصف عال ٠ وحين يسلم عليه يرفع نظرة فزعة ، وعندما يخاطب يحدق فى محدثه وينسى ان يصافحه ٠ كان بعضهم فى اول الامر يعتقد انه اصم ولذا كانوا يعيدون كلامهم بصوت اعلى ٠ ولكنه فى الواقع لم يكن كذلك ٠ لقد كان فى حاجة الى وقت ليفيق من نومه الداخلى على ان يعود الى ضياعه الغريب فى اثناء الحديث ثم ينطفىء فجأة نور عينيه وينقطع عن الكلام بسرعة ويواصل سيره من غير ان يلاحظ دهشة الآخر ٠ كان يبدو دوما منزعجا من حلم واه ، من انشغال غائم مع النفس : لقد لوحظ ان البشر لم يعودوا موجودين بالنسبة له ٠ فلم يكن يسأل عن احد ولم يلاحظ اليأس الذى استبد بزوجته وتساؤل ابنته الحائر ٠ انقطع عن قراءة الجرائد والمشاركة فى الحديث ٠ فالكلمات والاسئلة لم تكن تستطيع ان تنفذ الى لامبالاة ذاته الغائمة المغلقة ولو للحظة واحدة ٠ حتى عالمه الخاص اصبح غريبا عنه : دكانه ففى بعض الاحيان كان يجلس فى مكتبه كليلا لتوقيع الرسائل ٠ وحينما كان الكاتب يعود اليه بعد ساعة لاخذ الاوراق الممضاة كان يجده على الوضع الذى تركه فيه ، يتأمل الرسائل غير المقروءة بنظرة فارغة ٠ وفى النهاية لاحظ هو نفسه عدم الفائدة من وجوده فانقطع عن الظهور نهائيا ٠

كان اغرب شىء واعجبه فى نظر المدينة كلها : ان الرجل العجوز الذى لم يكن فى يوم ما متدينا اصبح يظهر الورع والتقوى ٠ فهو لم يكن يحافظ على مواعيد الاكل وغيرها ولم يكن يهتم بشىء ، ولكنه لم يهاول فى الذهاب الى المعبد كلما حان وقت الصلاة : كان يقف هناك ، وعلى رأسه قبعة مخملية سوداء وفوق كتفيه معطف الصلاة ، فى المكان نفسه كما كان يفعل ابوه سابقا ويحرك رأسه وهو يردد المزامير ٠ هنا ، فى هذا المكان نصف المهجور ، حيث تدوى فى سمعه كلمات غريبة غامضة ، هنا كان يجد احسن حالة يكون فيها وحيدا مع

نفسه • هنا كان يجد نوعا من الهدوء يقلل من حدة اضطرابه ويشجع المظلم فى صدره • فاذا قرئت الصلاة على ميت ورأى اطفال الميت واصدقاءه واقاربه يطلبون له الرحمة فى ورع وخضوع وخشوع ـ اذا رأى ذلك تكدرت عيناه : انه كان الاخير ، فقد عرف ذلك • ولن يصلى عليه احد • وهكذا بدأ يصلى معهم ويهمهم ويفكر فى نفسه وكانه يفكر فى ميت •

وذات مساء ، فى ساعــة متأخرة ، كان راجعا من احدى نزهاته الهائمة ، فهطلت عليه الامطار فى اثناء الطريق وكان قد نسى المظلة كعادته ، وعلى الرغم من ان سيارات الاجرة كانت معدة باسعار زهيدة ، والابواب والشرف الزجاجية كانت تدعوه لتحميه من الامطار المتهاطلة بسرعة ، فانه ظل يهتز ويتمايل تحت المطر • وواصل سيره وقد تجمعت القطرات فى قبعته كمستنقع متقطر • كانت اكمامه المبتلة تسيل جداول فوق خطاه : لم يهتم بهذا كله ، بل ظل يواصل سيره ، وهو يكاد يكون الوحيد فى الشارع الخالى • وعلى هذه الحالة وصل ، مبتلا متقاطرا ، كان اشبه بطريد منـه بصاحب هـذه الدارة الانيقة التى كانت فى انتظاره ، وصل الى مدخل بيته فى الوقت الذى وقفت امامه سيارة ، وقذفته باضوائها الساطعة المترامية • وحين تراجعت الى الوراء رمته بالوحل المـائى وهو يسير غير منتبه • وفتح بـاب السيارة المضاءة ، فنزلت منه زوجته وخلفها زائر نبيل يحمل مظلة ورجل ثان•التقوا جميعا امام الباب • وما ان عرفته المرأة حتى فزعت حينما رأته فى تلك الحالة ، يقطر الماء منه ، وهو مدعوك كرزمة اخرجت من الماء ، وادارت نظرها بعيدا عنه لا ارادياً • ففهم بسرعة : لقد خجلت منه امام الضيوف ، ومضى دونما تأثر اوحنق ، ليعفيها من آلام التقديم والتعارف ، يقطع الخطوات الباقية ، وكانه غريب ، الى ان وصل درج الخدم : هناك انعطف الى الداخل فى خشوع •

منذ ذلك اليوم اصبح لا يستعمل فى بيته الا درج الخدم : هنا كان متاكدا من انه لن يلتقى بأحد • هنا لا يزعج احدا ولا يزعجه احد • ولم يكن يظهر حتى فى اوقات الطعام ـ كانت خادمة عجوز تجلب له الاكل الى غرفته • واذا حاولت زوجته او ابنته الدخول اليه مرة ، فانه سرعان ما يطردها فى رفض حائر لا يقهر • وفى النهاية تخلتا عنه ، تركتاه لوحدته • وتعودتا على عدم السؤال عنه ، ولم يكن هو بدوره يسأل عن شيء • وكثيرا ما كان يسمع الضحكات والموسيقى عبر الجدران ، آتية من الغرف الاخرى التى اصبحت غريبة عنه ، كان يسمع السيارات تنطلق من امام بيته وتتحرك وتدوى الى

ساعة متأخرة من الليل · غير انه لم يكن يهتم بهذا كله الى درجة انه لم يطل مرة من النافذة : ماذا يهمه من ذلك ؟ وفى بعض الاحيان كان الكلب يصعد اليه وينام امام الفراش المنسى ·

* * *

لم يعد قلبه الميت يؤلمه · ولكن الخلد الاسود كان لا يزال ينهش اعماقه ويمزق جسده المرتجف · وتوالت عليه العوارض من اسبوع الى آخر · وبالتالى اذعن المعذب للالحاح الطبى الذى كان يطالبه باجراء فحص خاص · ونظر الطبيب اليه فى جد · ثم استعد فى حذر ليخبره بضرورة اجراء عملية جراحية · ولكنه لم يفزع من ذلك · لقد ضحك فى وجوم لا اكثر : الشكر لله ، لقد انتهى الآن كل شىء · فلينته الموت ، لقد جاء الطبيب الآن ، الموت · ومنع على الطبيب ان يخبر اهله بشىء من ذلك وطلب منه ان يعين له اليوم واخذ يستعد لذلك · ذهب للمرة الاخيرة الى الدكان (حيث لم ينتظره احد وتطلع فيه الكل كغريب) ، وجلس مرة اخرى فوق الكرسى المبطن بالجلد الاسود الذى جلس عليه ثلاثين سنة ، حياته كلها ، آلاف الساعات · وبعد ان اخذ دفتر الحوالات ملأ احدى الاوراق : حمل ذلك الى رئيس البلدية الذى فزع تقريبا من ارتفاع المبلغ · لقد كان قد خصصه للاعمال الخيرية ولقبره · ولكى يتجنب كلمات الشكر خرج مسرعا · وعندئذ سقطت منه قبعته ، ولكنه لم ينحن حتى لرفعها · وواصل سيره هكذا برأس عار ووجهه الشاحب المتغضن يوزع نظرات واجمة (كان المارة ينظرون اليه فى دهشة) ، ووصل الى ضريح والديه فى المقبرة · هناك تامله بعض العاطلين وتعجبوا منه كثيرا :

لقد تحدث طويلا الى الاحجار نصف المتعفنة كما يتحدث المرء الى الناس · هل كان يعلن نعيه ام انه كان يرجو ويلتمس بركتهما ؟ لا احد سمع الكلمات ـ شفتاه فقط كانتا تتحركان فى صمت ورأسه المرتج يزداد فى صلاته من انحناء · وعند ما غادر المقبرة ازدحم حوله السائلون ، فقد كان معروفا جدا · وحينئذ بدأ يبحث بسرعة فى جيوبه عن الاوراق والقطع النقدية · وما ان وزع كل شىء حتى اقبلت عليه بعد ذلك عجوز عرجاء قذرة الثياب واخذت تتباكى امامه · فبحث مرتبكا ، فى كل مكان ـ لم يجد شيئا ولكن شيئا غريبا ثقيلا كان لا يزال يضغطه فى اصبعه : خاتم الزواج الذهبى وانتابه نوع من الذكريات ـ نزعه من اصبعه بسرعة وقدمه الى المرأة المندهشة هكذا ، فقيرا ، فارغا ووحيدا تماما ، دخل تحت المبضع ·

عندما استيقظ مرة اخرى من البنج ، دعا الاطباء ، وقد تبينوا خطورة الحال ، زوجته وابنته الى الغرفة ، وكانتا قد اخبرتا بذلك فى اثناء العملية • وفتح عينيه عبر حاجبيه الزرقاوى الظلال : وحدق مستغربا ، فى بياض الغرفة التى لم يرها قط فيما قبل • « اين انا ؟ • »

عندئذ انحنت فوقه ابنته ، فوق وجهه المسكين الخرب ، وذلك لتؤنسه وتلاطفه • وفجأة ارتجف شىء فى انسان عينيه المتحسستين فى عمى • لقد سطع ضوء ، شىء صغير فى بؤبؤ عينه ، عرفها : هى هنا اذا ، ابنته المحبوبة بلا نهاية ، هى هنا اذا ، ارنا الفتاة الجميلة اللطيفة ! وانحلت الشفة المريرة ببطء تام ـ ابتسامة ، ابتسامة صغيرة جدا ، كأن فمه قد تركها منذ مدة طويلة ، بدأت تشع فى حذر•فانحنت فوقه ، وقد اثر فيها هذا الفرح المجهد ، لتقبل وجنته العديمة الدماء •

ولكن هناك ـ هل كان العطر الحلو هو الذى ذكره ام ان المخ نصف الذاهل كان قد تذكر اللحظات المنسية ؟ ـ اعترى الاسارير التى كانت قبل حين سعيدة فجأة تغير مخيف : كانت شفتاه العديمتا اللون قد التصقتا فجأة رافضة فى حنق وغضب ، وكانت يده تعمل تحت الغطاء وتريد ان ترتفع كما لو كانت مفهومة • « اذهبى •• ! اذهبى ••! » هكذا ارتسمت ، بصورة رهيبة من شدة التأثر • وانطلقت من شفتيه الشاحبتين كلمات غير واضحة ولكنها كانت مفهومة • « اذهبى ••! اذهبى ••!» هكذا ارتسمت ، بصورة رهيبة على اساريره المرتجفة علامات الكراهية • كانت اشبه باسارير من لا يستطيع الفرار ، بحيث ان الطبيب ابعد المرأتين عنه وهو مهموم • وهمس • « انه يهذى ••• الاحسن ان تتركاه الآن وحيدا •»

وما كادت الاثنتان تذهبان حتى انبسطت الاسارير المتكمشة من جديد وغامت منهوكة فى نعاس فارغ • كانت انفاسه لا تزال تتصاعد فى كلل ـ كان صدره يحشرج ويسحب من اعماق الاعماق انفاس الحياة الثقيلة • ولكنه ما اسرع ما عجز عن تجرع هذا الغذاء الانسانى المرير وعند ما لمس الطبيب ، مختبرا ، القلب وجده قد انقطع عن ايلام الرجل العجوز •

نقلها عن الالمانية :

ابو العيد دودو

الـزهـرة الـذابلـة

شعـر : احمد البختـرى

مــالهــا الزهــرة فيِ غصن النقــا
بعد هذا الحسن، وافاهــا الذبــِـل ؟
هل رأتْ فيِ الروض، لم يحل البقا ؟
أم رأت منها الفنــا ليس يطـولْ ؟
لستُ أدري ..

لستُ أدرى ، علـهـا عصف الريــاحْ
غيَّرتْ من حسنها الزاهـيِ الجميلْ
أو أيــاد عبثتْ عــنـد الصبــاحْ
ورمتْ فيِ الروض بـالغصن الطويــلْ
لستُ أدرى ..

فــسـألت الرَّوضَ، يــاروضُ، ومَنْ
هو هذا الجانيِ فيِ الروض يجـولْ ؟
فـأجــاب انـه حـكــم الزَّمَـنْ
صيَّــر الغصن لـدى الـروض عـليلْ
هو يدرى ..

وانثنــى مستسـلمــا فـــى روضـــه
راضيـا بالمـوت مـن بعـد النحـولْ
يالـه حكـم القضـا فـيِ أرضـه
يـتجلَّـى ، وهْـو حـكــم لايـزولْ
جلَّ يدري ..

ندوة القراء

الحرية الحق تطور وتجديد لا فوضى وتهديم

ابسط ما يطلب من الناقد ان يكون عالما حق العلم او ـ على الاقل ـ ملما حسن الالمام بما ينقد . فاذا حرم هذا وحرم معه نزاهة الرأى واستقامة القول ورصانة اللهجة كان ايسر ما يقع فيه الخلط والتحريف والتزيد . انه من الغريب حقا ان يتصدى صاحب « الشعر بين الاجرام والتجديد » للحديث عن الشعر الحر والحكم عليه وهو لا يعلم حقيقته. فلقد توهم ـ متأثرا فى ذلك بالمصطلح الفرنسى (Poésie Libre) (وهو الحريص على التنصل من كل نسبة الى الغرب) ـ ان الشعر الحر هو الذى لا يتقيد بوزن ولا قافية . فهو ـ فى ظنه ـ شعر مكسور يخلط بين القوافى والبحور .

وهذا خطأ صراح ما كان لينزلق فيه ناقدنا لو اطلع شيئا ما على حركة الشعر العربى الحديث وما كتب عنها اثناء السنوات العشر الاخيرة . فلو تمهل والقى نظرة عابرة على مجموعة مجلة « الآداب » مثلا لعلم علم اليقين ان الشعر الحر ـ حسب المصطلح الذى ضبطه والتزمه زعماؤه (امثال بدر شاكر السياب وكاظم جواد ونزار قبانى ونازك الملائكة وغيرهم) ـ هو الشعر الموزون الذى لا يخرج عن البحر الواحد ـ الا شذوذا (1) ؛ ولكنه لا يتقيد بعدد معين من التفاعيل (كما تقتضى الهندسة الكلاسيكية للقصيد : بناء مزدوج . صدر وعجز) ولا يلتزم قافية واحدة . فهو بعبارة اخرى يعتمد التفعيلة لا البيت ويتصرف فى القوافى وينوع حسبما يشاء له ذوق الشاعر ويوحى به ويقتضيه انفعاله الفنى .

هذا بكل ايجاز واقتضاب تعريف الشعر الحر . فهل ـ بعد هذا ـ ادعى الى الضحك والاغراق فيه من قول ناقدنا العصامى فى حاشية مقاله (2) قال : « جاء فى صفحة (العمل) الثقافية ضمن حديث عن الشعر التونسى انى كتبت

---

(1) لا يستجيز زعماء الشعر الحر الخروج عن البحر الا فى القصائد الطويلة (الملاحم ـ المسرحيات)

(2) مجلة الفكر عدد 7 افريل 1962 ص 79

الشعر الحر ـ وانا ادفع عن نفسى هذه التهمة واؤكد ان شعرى كله موزون مقفى لا يخرج عن العمود العربى ـ وان عددت فيه النقط والفواصل ـ فمتى يعرف الناس العروض حتى يفرقوا بين الحر والموزون »

من هنا ، من هذه النظرة الخاطئة اتى مقال صاحبنا ، وانك عبثا تبحث فيه عن فكرة طريفة او ملاحظة شخصية او خاطرة قيمة فى موضوع الشعر فلست تجد لها اثرا اللهم الا حقائق اولية تعلمناها فى شبابنا الباكر ، بديهيات يعرفها الاحداث من تلاميذنا فى المدارس الثانوية من ان الشعر الفرنسى يقوم على المقطع والشعر العربى على التفعيلة · فهذا هذا وذاك ذاك· ولكل عبقريته· وعبقرية العربية ـ مع الاسف ـ لا تسمح ان تتوالى ، فى الكلمة الواحدة ، خمسة حروف متحركة ·· واذن لا يجوز ان نحتذى العروض الاوروبى فى نظمنا العربى ··· هذه خلاصة كلامه ·

فما الداعى الى سفساف القول هذا والفضول ؟ وما صلته بمقال « الشعر بين الكبت والانطلاق » ؟ من قال باقتداء الشعر الغربى والنسج على غراره !؟

الجواب بسيط · انه وهم آخر ـ وما اكثر اوهام صاحبنا العفوية والمصطنعة ـ وهم ركبه وطوح بـه الى غير غايـة · فاسمع اليـه يقـول : (3) « **ولعل** الاوزان الجديدة التى يشير اليهـا السيد البشير المجـدوب هى طرق النظم فى الشعر الغربى **وهذا نفهمه** (4) من تعريضه بالذين يأبون الخروج عن تفعيلة الخليل » (5)

وقد قال قبل هذه الجملة ما يلى : (6) « وما عرفنا من الناس من احدثوا اليوم اوزانا جديدة ··· »

بلى يا سيدى ! لقد احدث اسلافنا ـ **فى الامس البعيد** ـ اوزانا جديدة · لقد نظم شعراء الانـدلس قطعا رائعة سموهـا الموشحـات وخرج الكثير منها عن اوزان الخليل ·

فلا بأس ان يصغى ناقدنا ويمعن فى الاصغاء الى ما يقوله الشاعر ابن سناء الملك المصرى (550 ـ 608 هـ) فى كتابه « دار الطراز » · قال بعد ان لاحظ ان

(3) مجلة الفكر عدد 7 افريل 1962 ـ ص 76
(4) لاحظ الانتقال المباشر من (لعل) الى ·· وهذا نفهمه ··· من صيغة الافتراض والاحتمال الى الاثبات والجزم
(5) الخروج عن اوزان الخليل شىء والخروج عن تفعيلة الخليل شىء آخر فلا يجوز الخلط بين الامرين
(6) مجلة الفكر نفس العدد ـ ص 75

الموشحات تنقسم الى قسمين : الاول ما جاء على اوزان اشعار العرب والثانى ما لاوزن له فيهـا ولا المام له بهـا . اما القسم الاول « فهو من النسج المرذول المخذول وهـو بالمخمسات اشبـه منه بالموشحـات ، ولا يفعله الا الضعاف من الشعراء ومن اراد ان يتشبه بما لا يعرف ويتشيع بما لا يملك » (7)

والقسم الثانى من الموشحات « هو ما لا مدخل لشىء منه فى شىء من اوزان العرب ، وهذا القسم منها هو الكثير والجم الغفير والعدد الذى لا ينضبط » (8)

وهذه الاوزان الجديدة منها « قسم لابياته وزن يدركه السمع ويعرفه الذوق كما تعـرف اوزان الاشعـار ولا يحتاج فيهـا الى وزنها بميزان العروض ، وهو اكثـرهـا . . . » (9)

ان ناقدنا فى حل ــ بعد هذه المعلومات ــ ان يعتبر الموشحات من النثر ــ ان شاء ــ لمجرد خروجها عن اوزان الخليل ، وينفى عنها صفة الشعر مع انها ــ بحق ــ كما قال الدكتور مصطفى عوض الكريم « المحاولة العظمى التى لم تسبق ولم تلحق فى الخروج على الاوزان التقليدية » (10)

ولا بأس ايضا ان يستمع فيستفيد مما يقوله صاحب « لزوم ما لا يلزم » فقد لاحظ المعرى ان المضارع والمقتضب والمجتث « قل ما توجـد فى اشعـار المتقدمين » (11) ثم عاد فأكد ان المقتضب مفقود فى شعر العرب وان الخليـل اضطر لاختراع بيت للتمثيل له فقال :

اعــرضــت فــلاح لــهــا
عــارضـــان مـــن بـــرد

واكد المعرى ايضا ان المضارع مفقود فى شعر العرب وان الخليل وضع له البيت :

وان تـدن مـنـــه شبـــرا
يـقـربــك مـنــه بــاعــا

---

(7) دار الطراز ــ ص 33
(8) دار الطراز ــ ص 35
(9) نفس المصدر
(10) فن التوشيح بيروت 1959
(11) الفصول والغايات ج 1 ــ ص 132

فهـذه همـة القوم حينمـا كان « باب الاجتهاد » مفتوحا ، ويوم كان الناس يأنفون من ان ينسبوا اسلافهم الى العصمة والكمال ، كما أنهم لا يبخسونهم حقهم من الخلق والابتكار ٠

فمن المعلوم المفروغ منه ان للشعر العربى ــ والفضل فى اظهار هذا يرجع الى الخليل بن احمد ــ مدى موسيقيا واسعا، وذلك ان هذه البحور ومجازيئها تعطى الشاعر حرية واسعة لاختيار الوزن الذى يتمشى مع عاطفته ، غير ان هذا لا يكفى ولا يفى بما جد فى النفس البشرية ــ على مر الايام ــ من حاجات وميول ٠ وانى اكتفى بشاهد بسيط لا يكلفنى مؤنة العودة الى ما بسطت فى مقالى المذكور ٠

فاقول : لو لم يشعر شعراء الاندلس بالحاجة الى النسج على منوال جديد يطابق ذوقهم الصميم وبيئتهم الخاصة ، وما فى هذا الذوق والبيئة من طابع فريد متميز ، لو لم يشعروا بميل فنى ملح قاهر الى التصرف فى هندسة القصيدة الكلاسيكية بالشكل الذى ذكرناه (الماما واقتضابا) فى الموشحات لما اقدموا على تلك التجربة الثورية الموفقة التى ادت بهم فى الكثير من قطعهم الى الخروج عن العمود « المقدس » ولكنها منحتهم طاقة تعبيرية وموسيقية ممتازة ٠

اما ما زعمه الناقد الاريب من انى ادعو الى الاقتداء بطرق النظم فى الشعر الاوروبى فهو تأول اعتباطى يدحضه القسم الاخير من مقالى ٠ فلقد اشرت فى آخر المقال الى اسلوب القرآن ورأيته ــ هو ــ (لا اشعار الافرنج) المثل المفضل والنموذج الاعلى الذى ينبغى ان نستوحيه فى باب « تحرير العبارة من القيود المجحفة بالمعنى مع مراعاة حق اللفظ وما يقتضيه من جمال ونغم وايقاع » (12)

وقد سكت ــ مع الاسف ــ زميلنا عن هذا القسم واهمله اهمالا تاما ٠ وما هذا السكوت والاهمال الا لصعوبة الرد وحرج الموقف ٠

والحقيقة ان هذا القسم من المقال ، المتعلق « بشاعرية » القرآن لهـو متصـل بصميم المقال وبفكرته الرئيسية ٠ ان مقال « الشعر بين الكبت والانطلاق » يتلخص فى هذه الفكرة البسيطة : الشعر اوسع من ان ينحصر فى تلك الحدود الاصطلاحية التى رسمها الاقدمون ٠ بل ان فضاءه فسيح فسيح ٠ انى لا ارى للشعر ــ كما قال الزهاوى « قواعد » ، بل هو فوق القواعـد ، حـر لا يتقيـد

(12) « الشعر بين الكبت والانطلاق » مجلة الفكر عدد 6 مارس 1962

بالسلاسل والاغلال . وهو اشبه بالاحياء فى اتباعه سنة النشوء والارتقاء ، يتجدد واحربه ان يتجدد بحسب الزمان »

فالشعر من حيث كنهه وروحه مشترك بين كل الفنون . نجده فى الموسيقى والرقص ، ونلمحه فى الرسم والنحت ، كما اننا نحسه ونطرب له فى القصة والمسرحية .

على ان الصورة الانسب التى يلبسهـا الشعر ـ تلـك التى تجلوه فى اتم صفائه وروعته ، وقد تجمع عنصره وبلغ غاية التركيز ـ هى الكلام الممتاز الموقع الموزون . ولسنا نعنى بالكلام الموزون كلاما يخضع ـ حتما ـ لقاعدة من النظم معينة ـ فالقرآن ـ فى بعض من سوره ـ اسلوب شعرى صميم توفرت فيه جميع الشروط الجوهرية للشعر الحق ، ولست تجد فيه مع ذلك قوالب مضبوطة تتكرر وتردد على نحو خاص ـ فالاوزان فيه اكثر من ان تضبط والتنوع فوق الحصر ـ ولا تعدم فيه ـ على ذلك ـ تمام التناسق والانسجام بل فى بعض السور وحدة موسيقية ظاهرة نلمسها من اول السورة الى آخر اية منها . فهى وحدة الايقاع ـ وناهيك بها من وحدة ـ تضمن لهذا الاسلوب حظا كبيرا من الجزالة الموسيقية . انه « تزويج الوحدة بالكثرة تزويج الانسجام »

فهذه سبيل من جملة السبل ـ وهى عدة (نظم كلاسيكى ـ نظم حـر ـ نظم مرسل) ـ التى لا حرج على الشعر ان يتبعها غير سائر الا على هدى من الذوق الاصيل المتفتح والطبيعة الفنية الخلاقة .

وما قيل عن القرآن فقد يصح ـ الى حد ما ـ فى فصول من « مولد النسيان » مثلا (لمحمود المسعدى) . ان فيها لنغما رفيعا ينتمى ـ على طرافته واصالته ـ الى الموسيقى القرآنية بل ينحدر منها رأسا (فى بعض الفقرات)

فليكفنى القارىء مؤنة الاستشهاد وليس على الا ان احيله الى مجلة المباحث .

هذا وانى لا اريد ان اختم كلمتى هذه دون ان ادس فى اذن الناقد الشجاع سرا اريـده يبقى بيننـا ، هى نصيحـة اسديها اليه بأن يلتزم الامـانـة فى « الكتابة » كشأنه فى معاقرة القوافى . فلا يتـأول على هـواه ويحـرف ويشوه اقوال الغير ، وايضا الا يسطو فى المستقبل على الاحياء من الكتاب فلقد اتفق لى ان اطلعت عرضا على مقالاته (عن اللغة) المنشورة فى العمل فوجدته قد اغترف باسراف بل بنهم من كتاب « المعجم العربى نشأته وتطوره » (13) دون اى اشارة الى هذا الكتاب . فالنزاهة النزاهة يا صاح . والسلام .

البشير المجـــدوب

(13) المعجم العربى للدكتور حسين نصار . هذا وقد يكون الزميل آستقى معلوماته عن اللغة لاعن الكتاب مباشرة بل عن استاذه فى الجامعة . ولكنه اهمل ـ طبعا ـ ذكر المصدر ـ مخالفا السنة الجامعية فى البحث

هى ماذا ٠٠٠ المادية التاريخية ؟!

اختلف المفكرون قديما وحديثا فى العوامل التى تتحكم فى سير التاريخ ، والتى يمكن اتخاذها اساسا لتفسير احداثه ووقائعه ، غير ان كل فئة من هؤلاء المفكرين قد اتخذت لنفسها ، فى نطاق وجهة نظر معينة ــ عاملا واحدا يؤثر فى سير التاريخ ومجرياته ، ويكون ذلك العامل سابقا فى « الزمان والمكان » لوقوع الحوادث التاريخية التى تصبح بدورها نتيجة له ٠ وعلى هذا اختلفت وجهات النظر وتعددت ، بين العلماء والمؤرخين فى تفسير التاريخ ، وفى اثر العامل المؤثر فى تغيير مجرى التاريخ البشرى فمنهم من جعل العامل الجغرافى هو العامل الايجابى الفعال ٠٠٠ ومنهم من جعل العامل الروحى ٠٠٠ او البطولى ٠٠ او الدورى الخ ٠٠٠ وكان من بين هـذه النظريـات نظريـة « ماركس » التى تفسر احداث التاريخ تفسيرا « مـاديـا اقتصاديـا » والتى لاكتها الالسن والكتب كتابة وبحثا ومناقشة وقد اطلق على هذه الفلسفة اسم « المادية التاريخية » وهى الجانب الاجتماعى للمادية الجدلية « الديالكتيكية » : وما هى ٠٠ الا تلك الفلسفة العامة لماركس وانجلز التى تبحث فى « الوجود » وطبيعة الكون والقوانين العامة التى تسير بموجبها قوى الطبيعة ، وقد تأثر بهذه الفلسفة الفيلسوف المعاصر « سارتر » الذى اشاد بحديثه معه دكتورنا فريد غازى ٠

وما دمنا نبحث فى التفسير الذى يمكن اعتماده لسير التاريخ فلا فائدة ترجى من مناقشة المادية الجدلية ٠

لقد آمن ماركس بالعامل الاقتصادى ، وهو العامل الوحيد الايجابى ــ فى نظره ــ الذى يؤثر فى علاقات الامم والافراد ، ويعين مجرى التاريخ ، وكل الاختلافات التى تنشأ فى المجتمعات ، سواء اكانت خلقية او اجتماعية او دينية ، ما هى الا مظهر من مظاهر اختلافها فى نوع الحياة الاقتصادية السائدة فيها ٠ وبهذا نرى انه لا يعتبر فى تفسير التاريخ الا الانظمة الاقتصاديـة ، وليس هنـاك اهمية تذكر للعوامل الاخرى الجغرافية او العنصرية او اللغوية ٠ واضاف ماركس الى ان العامل الاقتصادى يؤثر ايضا فى التنظيم الاجتماعى والسياسى والثقافى ، وبعبارة اخرى يمكن القول : ان المذهب التاريخى المادى الذى قال به كارل ماركس وانجلز يفسر الناحية المعنوية فى المجتمعات بانها تقوم على اساس تركيبها المادى ٠ ويظهر من هذا كله ان هناك اسراف وتطرف فى

الحكم على ان جميع حوادث التاريخ وسيره ـ والحوادث الاجتماعية بصفة عامة ـ تخضع الى عامل واحد ، هو العامل الاقتصادى ، ورغم انه لا ينكر ان العامل الاقتصادى قد لعب دورا هاما فى التاريخ ، الا انه لا يمكن الاقتصار عليه كعامل ايجابى والعوامل الاخرى سلبية ، وانما علينا اذا اردنا ان نفسر التاريخ تفسيرا يتماشى والبحث العلمى الحديث ، ان لا نهمل العوامل الاخرى المؤثرة فى مجرى التاريخ ، وان ننظر اليها على اساس انها عوامل تعمل مع بعضها متعاونة متداخلة ، وان كل نظرية وضعها لنا العلماء من تلك النظريات انما هى تفسير « جزئى » لحوادث التاريخ ٠

واحسب ان هذه هى المحاولة الجديرة بالاهتمام ، وليس التعلق بتلابيب مذهب يؤمن « بوحدانية » العامل الاقتصادى والذى تراءى لبعضنا براقا فأخذنا ببريقه ، وغفلنا عن بقية الفلسفات او التفسيرات التاريخية التى لها اهمية لا تنكر ٠ وفى رايى يكفى دلالة على ضعف المادية التاريخية فيما تعتمد اغفاله من حوادث تاريخية تتعارض ونظرتها ٠

محمد الأمين خلفة

• نـدوة حـول التعـريب

عقدت فى دار الجمعيات الثقافية يوم الجمعة 25 ماى ندوة حول التعريب تحت اشراف فرع اتحاد الطلبة بـدار المعلمين العليا شارك فيها الأساتذة البشير قوشة وصالح القرمادى ومحمد السويسى وحضرها ثلة من الأساتذة والطلبة ٠ وقد قدم المحاضرين الاستاذ محمد الطالبى ثم تحدث الاستاذ محمد السويسى وعبر عن ضرورة التعريب وامكانياته ثـم أسهب الاستاذ البشير قوشة فى وصف حركة التعريب وعراقيلها وأكد الاستاذ القرمادى فى النهاية أن الناس آمنوا كلهم بضرورة التعريب ولم يبق الا العمل من أجل تحقيقه فى أحسن الاحوال لئلا يترك مجال الطعن مفسوحا لأعدائه ٠

وانتهت الندوة بنقاش شارك فيه الاساتذة والطلبة ٠

رد على تذييل السيد ماجد

بقلم : **الطاهر اللبيب**

قرأت في العدد الاخير من مجلة (الفكر) تذييل الاخ جعفر ماجد على رد السيد رشيد الغالي فوجدت ان وسائل الدفاع التي اتخذها كل واحد منهما لا تخلو من ضعف احيانا ولا سيما تلك التي دافع بها الاخ ماجد في تذييله ٠

وسأحاول فيما يلي التعرض الى ما استنتجه ماجد من رد السيد الغالي عليه :

1) اول ما استنتجته ان صاحب الرد اخطأ في فهم التهمة ، والواقع انها واضحة، وليس التجاؤه الى شرح الفوارق اللغوية بين عنوانك وعنوانه مما يدل على جهله التهمة ابدا لانها لم تصل الى درجة الغموض او التعقيد ، بل كل ما فيها انك « تراه قد اسرف في الاخذ من قصيدتك (حكاية موجة) حتى تجاوز حدود الاقتباس » ٠٠٠ وانه علاوة على هذا كله قد التجأ الى ما لا نجد له مبررا في دنيا الكتابة وبالاخص في ميدان النقد ، وهو « استعماله اساليب التعمية ٠٠٠ » اليس هذا كل ما اردت قوله ؟

كان عليك اذا ان تجيب بغير هذا الجواب الذي ينم في الحقيقة عن محاولتك « الانفلات من حبال منطقك » وعن رغبتك الملحة في اغراء القارىء الذي لم يسعفه الحظ بالمقارنة بين (حكاية موجة) و (اسطورة موجة) بمفرده ، وبدون التجاء الى ما يقوله الواحد في غريمه ٠ فصاحبك شعر بان العنوان الذي اختاره لمقاله هو الذي ادخل في نفسك الريبة وجعلك تتهمه باللصوصية العارية ، ولذلك نراه يحاول توضيح الفروق بين العنوانين ٠

والواقع ان تشابه العنوانين ـ ان قلت به ـ لا يستغرب لانهما خلقا في ظروف واحدة قد تتشابه فيها العواطف وبالتالي الالسن ٠٠٠ فكان عليك اذا ان تذكر عوض استنتاجك الاول ما يخرجك من الشرك الخفي الذي نصبه لك صاحبك الغالي ٠٠٠

2) اما استنتاجك الثاني فأرى فيه جانبا من الصواب اذ ان الملجأ الذي آوى اليه صاحبك بدون سقف ٠ فهو لا يحميه من التهمة ولا يبعدها عنه ٠ اذ ان تعرضه « لكلمات ومفاهيم غامضة لا صلة لها بالموضوع مثل الذاتية والكينونة والجزء والكل ٠٠٠ » لا يبرىء ساحته ولا يعتبر برهانا او مستندا بل هو « انفلات من حبال منطقه » ٠ فهو متهم بالاخذ من قصيدتك ، فما عليه الا ان يرد على هذا الاتهام بدقة ووضوح ، كما فعل في جل رده عليك ٠ اما هذا الالتواء المضحك فالنقد منه براء ولا يوقع في غير « ثرثرة فارغة لا كنه لها » ٠

ولا تنسى ان لنا معك حسابا يا اخانا ماجد ٠٠٠ فانت في نفس هذا الاستنتاج اوردت حجة عليك لا بأس ان نذكرها : فقد قلت في شأن صاحبك

الغالي : « وخاض في احاديث لا تهم مثل ذكر مزايا قصيدتي وعيوبها وهو هروب من الدفاع عن نفسه » فلم هذا يا هذا ؟ اليس من العدالة ان يتعرض لمقاله فيشرحه حتى يقف القارىء على حقيقته ، ثم يتعرض لقصيدتك فيبين ما فيها من مزايا وعيوب ؟ اليس في ذلك اعانة القارىء على المقارنة بين انتاجيكما ؟ بلى يا اخي ! انه سلاح مهاب ومحترم ايضا ٠

3) والآن ! اليس عين الخلط ما تقول ؟ سامحك الله ! اتدعي ان « بعض التنقيحات التي دخلت على القصيدة ليست عدا تغييرات فنية في جملتها لم تمس من روح القصيدة » ؟ ؟

اعلم اذا ان الكلمات ولو كانت مترادفات لا بد ان تضيف شيئا جديدا الى المعاني ٠ اما من الناحية الفنية فقد سلمت لنا ــ دون عناء بالتغييرات التي يحدثها تبديل لفظة باخرى ٠ ولو فحصت بدقة معتمدا على ذوقك الشعري لوجدت انك قد اضفت ابهاما وغموضا الى قصيدتك عند مــا محــوت **الارض** وجعلت مكانها تلك الكلمة **شيء** المعروفة بخصائصها ٠ وعندي ان الغموض من ابرز العناصر في قصيدتك ٠ وما اعظم تلك اللفظة **غارق** وما اشد ما توحيه الى نفوسنا ، فلم اتيت بها مكان لفظة **حوله** الساذجة التي لا تكسو البيت الا برودة رغم ضبطها لمكان **شيء** الذي ذكرته في بيتك هذا ؟ حتى انك لمــا رفعتهــا كان الابهام ايضا ٠٠٠ وما اظنك الا قصدته لحاجة في نفسك ٠ اما تعويضك جملة باخرى لا تضمر نفس المعنى فذلك يا اخي ما لا نجد له مبررا ولا عذرا ٠ ونحن لا نلومك على هذا التحوير بل نشجعك عليه ، لانه ينم عن تجدد الافكار في دماغك ، كما تتجدد مياه الجداول ، وينم ايضا عن محاولتك تحسين قصائدك من تلقاء نفسك ٠ ولكن الذي نعيبه عليك ان تدخل شيئا جديدا على قصيدتك التي نشرت في الصباح ثم توردها في الفكر على انها حجتك ٠ وكان الانسب والاسلم ان توردها كما نشرت في المرة الاولى ٠ لان القصيدة الاولى ليست هي الثانية ٠ وعليك ان تجزم بهذا ٠

4) وقلت اخيرا بصوت تشوبه نغمة الانتصار : « انه مؤمن بالشبه الكبير ان لم اقل بالتماثل بين حكايتي واسطورته ٠٠٠ » فمن اين لك هذا ؟ الم يسألك : « اين قصيدتك من هذه المعاني التي اشرت اليها » ؟ ٠ واعود فأذكرك بان الشبه ــ ان بقيت مؤمنا بوجوده ٠ لا يستغرب ابدا لان الدافع الذي جعلك تخلق هذه القصيدة هو نفسه الذي دفع صاحبك الى كتابة مقاله ٠٠٠ وكثيرا ما تتشابه ــ ولو الى حد كبير ــ بعض النظرات الى حادثة معينة دون ان يكون هناك اقتباس او تقليد ٠٠٠

واود ان انبهك يا اخانا ماجد الى ان النقد او الرد يجب ان لا تؤثر فيه علاقتك بمن تنتقده ٠ حتى لا يقال فيك انك « طفل يتلعثم » ٠

الطاهـر اللبيب

ترشيح المعلمين

• ابن خلدون بين العرب والبربر

بقلم : محمد الهادى العامرى

عنوان محاضرة القيتها بالاتحاد الثقافى الصفاقسى يوم الاثنين ثانى افريل 1962 وقبل ان نلخص المحاضرة نشير الى النشاط الثقافى الخطير الذى يقوم به الاتحاد الثقافى بصفاقس الذى القيت المحاضرة من منبره فاقول : هذا الاتحاد الذى يراسه اليوم السيد محمد قطاطه ويساعده على العمل الاستاذ عبد الكريم عزيز عبارة عن وحدة ثقافية تكونت : من جمعية الثقافة والتعاون المدرسى ومن جمعية الاتحاد الصفاقسى الزيتونى وجمعية النهوض بالطالب القرقنى - افرغت هذه المشاريع كلها فى قالب الوحدة فاصبحت قوة ثقافية عتيدة زاخرة مفيدة رائعة بعيدة الاثر عظيمة الخطر كثيرة النشاط فى سائر الميادين الثقافية تقوم بجلائل الاعمال وتقدم للشعب الصفاقسى النبيل اجل الخدمات ماشئت من رياضة واعانة للتلاميذ ورحلات وحفلات وعرض اشرطة سينمائية مثقفة بدون مقابل ومكتبة زاخرة بالوف المجلدات فى سائر شعب المعرفة وبشتى اللغات وقد جرت عادة هذه الجمعية الناشطة ان تخصص مجموعات من الآلات الفنية والمعاجم والكتب المدرسية لمختلف اقسام التعليم الثانوى والفنى للتلاميذ المقيمين بماوى التضامن الاجتماعى تيسيرا لهم على مراجعة دروسهم وللجمعية ثلاث فرق فى الكرة الطائرة يديرها الاستاذ البشير الملولى فى توفيق ونجاح تمكنت به من الارتقاء الى القسم الثانى بعد ان احرزت على بطولة الجنوب وليس هذا فحسب فقد واصلت الجمعية اهتمامها بالمكتبة فاقتنت بمبلغ 343،977 دينارا كمية هائلة من الكتب الجديدة بلغ عددها 754 مجلدا منها 579 كتب عربية والباقى فرنسية وبذلك ارتفع عدد مجلدات المكتبة بعد ضم مكتبة فرع طريق منزل شاكر من 3993 الى 8961 • وكان نشاط الجمعية ملموسا حيث وصل عدد المطالعين 2129 مطالعا وعدد الاعارات الداخلية 5002 اعارة وعدد الاعارات الخارجية 14936 اعارة • اما موارد هذه الجمعية فتتالف مما ياتى اعانات : كتابة الدولة للصحة ، كتابة الدولة للتربية القومية ، ادارة الشباب والرياضة : بلدية صفاقس ، مجلس ولاية صفاقس •

وغنى عن الايضاح ان كل تاخر فى دفع اعانة ما لانعاش هذه الوحدة الجبارة او السعى فى تنقيص مواردها يعد خطا لا يبرر مهما كانت المعاذير ما دامت هذه الجمعية مثابرة على السير قدما بالبلاد فى ميادين العرفان التى يجب ان تتمتع بالاعانات المتوالية • اذ التنقيص من مواردها تنقيص من نشاطها وعرقلة لبعض اقسامها ولا يفكر اى كان فى هذه البلاد التى تعمل جاهدة بكل ما لديها من امكانيات للتخلص من التخلف ان تتساهل فى انعاش هذه الوحدة التى غمرت بنشاطها سائر الميادين

وقد شاءت هذه الجمعية بواسطة صديقنا الاديب النابغ الحازم سيدى محمد محفوظ ان احاضر على منبرها فكان لها ما ارادت

المحاضرة

ابن خلدون بين العرب والبربر

تناولت المحاضرة البحوث التالية :

(1) عصر ابن خلدون ، (2) ابن‌خلدون وثقافته العلمية والادبية ، (3) ابن خلدون تاليفه ورحلاته

وحيويته ونشاطه ، (4) ابن خلدون نظريته في البربر ، (5) ابن خلدون نظريته في العرب ، (6) شعوبية ابن خلدون وتفنيدها

الملــــخص

ولد ابن خلـدون بتونس سنة 732 هـ ونشا بها وعاش في شرخ الشباب وريعان العمر في عصر حالك بالانقلابات وشاهد بعيني راسه عبث العرب احفاد بني سليم وبني هلال وما اليهم من العرب الذين ارسل بهم المستنصر الفاطمي الى المعز بن باديس تاديبا له وانتقاما من بلاده لانه الغى النحلة الشيعية وقرر تـوحيد المذهب وتعميم الفقه المالكي ودعا الناس الى الاقتصار على مذهب عالم المدينة مالك بن انس وعزم على حماية استقلال البلاد من تصرفات الفاطميين بمصر فاجابوه بحملة عرب الصعيد الذين فقدوا كل تهذيب وتنكروا لكل نظام واستهاموا بكل غنيمة فشاهد ابن خلـدون امتدادهم الخطير وراى رعـونتهم وهوجهم وعيثهم في البـلاد واستباحتهم للاستيلاء على مواردهـا بالنهب والسطو وفرض الغرامة واستطالتهم على الملوك الحفصيين الذين فقدوا كل حصانة حتى تخطفهم العرب من قصورهم وفرضوا سلطانهم عليهم كما شاهد ابن خلدون وهو في سنه المبكرة لم يطر شاربه بعد عظمة المرينيين من البرابرة المسلمين في اوج عزتهم وجلال سلطانهم وحملتهم على تونس سنة 748 هـ التي يصفها الاديب التونسي ابو القاسم الرحوي ويقـول عنهـا :

بجيش على الالـواح والمـاء يمتطي
وجيش على الضمـر السوابق يركب

وجيش مـن الاحسان والعـدل والتقى
وذاك لعمـر اللـه اعـلى واغلـب

ويصف ابن خلدون موكب دخول الحملة الى تونس كشاهد عيان قال : ثم عبا (السلطان) يعني ابا الحسن المريني الى دخولها (يعني تـونس) مـواكبه وصف جنوده سماطين من معسكره بسيجوم الى باب البلد يناهز ثلاثة اميال او اربعة وركب بتومرين الى مراكزهم في جموعهم وتحت راياتهم وركب السلطان من فسطاطه وراكبه من على يمينه وليه عريف بن يحيى امير زغبة ويليه ابو محمد عبد الله بن تافراكين ومن على يساره الامير ابـو عبدالله محمد اخو مـولانا السلطان ابى يحيى ويليه الامير ابوعبد الله ابن اخيه خالد كانا معتقلين بقسنطينة مع ولدهما منذ خروج اخيه الامير ابى فـارس فاطلقهم السلطان ابو الحسن وصحبوه الى تونس فكانوا طرازا في ذلك الموكب فيمن لا يحصى من اعياص بني مرين وكبرائهم وهدرت طبوله وخفقت راياته وكانت يومئذ مائة وجاءوا المواكب تجتمع عليه صفا صفا الى ان وصل الى البلد وقد ماجت الارض بالجيوش وكان يوما لم ير مثله فيما عقلناه الخ اهـ

كـل ذلك قـد اثـر عميـق الاثـر في نفس عبد الـرحمن بن خلـدون الحساسة • ومن الطريف ان نذكر هنا ان هذه الحملة المرينية كانت معززة باربعمائة عالم من خيرة علماء المغرب نظمهم ابو الحسن في مواكبه جريا على عادته في الاحتفاء بالعلماء والتفاخر بهم وقد اشار الرحوي الاديب التونسي لهؤلاء الاعلام بقوله :

هـم الفئـة العليـاء والمعشر الـذي
اذا حـل شعبـا فهو للحـق مشعب

وقال لابى الحسن في هذا الصدد :

واعليت قـدر العلـم اذ كنت عالمـا
ففيـه وفـي طـلابـه لـك مـارب

وقد اسهب عبد الرحمن بن خلدون فى الحديث عن علماء هذه البعثة واشار الى تاثره بهم وما لهم من اثر فى ثقافته وما دار بينهم وبين علماء تونس من المناقشات العلمية فى مجالس رائقة كان يحضرها السلطان ابو الحسن ويشارك فيها وبالتالى فقد انتهت هذه الحملة باحـداث فظيعة مؤلمة وهزيمة نكراء ساحقة لابى الحسن المرينى الذى حاول تخفيف وطاة العرب من بقايا بنى هلال وبنى سليم وحملهم على الجادة فاخفق وتآمر هؤلاء العرب مع جنود بنى عبد الوادى الذين نظمهم ابو الحسن فى جيوشه بعد ان استولى على عاصمة ملكهم تلمسان ولم يراع لهم كرامة ولا شعورا فاندفعوا الى خذلانه مع العرب والجؤوه الى التحصن بالقيروان

ومـالبث العـريـن بـذى امتنـاع

اذا لـم يحمـه الا العـريـن

ولم يخرج من الحصار الا بعد ان ذاق الامرين • وكانت هزيمته بتونس وبـالا على سلطانه بالمغرب فانتقض عليه ابنه ابوعنان فى حديث طويل ثم جـاءت المصائب تتـرى فغمرت الاوبئة البلاد التونسية وكادت تستاصلها وجرفت بسيلها القاسى اعلام العلماء بتونس ومـا سلم منها الوافدون عليها . ومن هنا استوحش ابن خلدون كما قال ولم يستقر له قرار بتونس بالرغم عن استخدامه بالبلاط الحفصى فى كتابة العلامة على عهد ابى اسحاق ووزيره ابن تافراكين المستبد على دولته ويابى ابنخلدون الا ان يظهر نشاطه خارج تونس فيتقلب فى مناصب لاتحصى ويغامر مغامرات صاخبة فتارة يرمى به فى قعر السجون واخرى تجرده الايام من طارفه وتالده ومـرة يتوقل اعلى القنن لدى المرينيين وهو فى اثناء ذلك يدرس الاوضاع درسا عميقا • ومثله فى دقة ملاحظته وشغفه بالاطلاع وتطلعه للمعرفة وتمرسه بالاحداث واكبابه على الدرس اينما حل • كان لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا دونهـا حتى اختمرت عنده تلكم النظريات واحس من نفسه الميل الى تدوينها فانقطع بقلعة (بنى سلامة بالجزائر) اربع سنوات وهى السنوات التى اخلد فيها الى السكون وكتب مقدمة كتابه الحافلة وشيئا من كتابه العبر • ولم يتمالك عن التنويـه بالبربـر الذين وطدوا دعائم ملك ثابت الاوتاد شاهد ابن خلدون آثاره وتبنك نعمته فاشاد بهمفى مقالته التى يختمها بقوله : بان البربر جيل عزيز على الايام وانهم قوم مرهوب جانبهم شديد باسهم كثير جمعهم مضاهون لامم العالم واجياله كما انه لم يتمالك عن مهاجمة احفاد الهلاليين وبنى سليم فى عنف وقساوة وشدة فكتب عنهـم الفصول المعنونـة بما ياتى : العـرب لا يتغلبون الا عـلى البسائط ـ العرب اذا تغلبوا عـلى أوطان اسرع اليها الخـراب : العرب لايحصل لهـم الملك الا بصبغة دينية من نبوءة او ولاية او أثر عظيم من الدين : العرب ابعد الامم عن سياسة الملك ـ الى غير ذلك مما يوحى لقـارىء العناوين بشعوبية خطيرة يعتنقهـا ابن خلدون ويستبسل فى الدفاع عنها بل يتفوق بها على اخطر شعوبى العالم : ولكن الدارس للفصول العالم بوضعية ذلك العصر والدارس لاحداثه سرعان ما تتجلى له الحقيقة الساطعة من وراء تلكم الفصول التى تعالج مساوى احفـاد عرب الصعيد بتونس والمغرب ويخرج بالنتيجة التالية : ان فساد ذلك الجيل من العرب وجهله وتنطعه واسرافه فى العبث وتهافته على الفوضى وامعانه فى الوحشية وحنينه الى الهمجية كل ذلك هو الذى حرك قلم ابن خلدون وهيجه ودفع به الى التنديد وارهاف الحد لهذا الجيل من العرب ولولا وجودهم بالمغرب ما خطر على قلب ابن خلدون ان يكتب فى هذا الموضوع البتة الى آخر ما جاء بالمحاضرة من البراهين والدراسة الدقيقة التى تثبت ذلك وزيادة •

• القـاهـــرة

• **مع الدكتور ابراهيم مدكور :** سألت مجلة اضواء صديقنا الدكتور ابراهيم مدكـور المفكر الكبير المشهور بمؤلفاته الفلسفية والسكرتير العـام للمجمع

اللغوى بالقاهرة الآن فى جملة من المشاكل التى تفرض نفسها اليوم على المفكرين العرب ورأينا ان ننقل أجوبته لقرائنا تتميما للفائدة :

1 ـ يكثر الكلام فى بعض الاوساط الفكرية ان هناك حضارة خاصة فى بلاد البحر الابيض المتوسطيطلقون عليها عادة تسمية « الحضارة المتوسطية »، فما هو رأيك فى ذلك ؟

أظن ان لمن يفكرون فى هذا ما يبرر تفكيرهم لأن بلاد البحر الابيض المتوسط تكون وحدة جغرافية وتاريخية قديمة • ولم يحدث ابدا ان ظهرت فى احدى بلاده حضارة الا وامتدت آثارها الى بلاد حوض البحر الابيض المتوسط الاخرى • فالحضارة المصرية القديمة امتدت الى آشور وبابل كما امتدت الى ارخبيل اليونان وشمالى افريقيا •ويمكن ان يقال مثل هذا عن الحضارات السومرية والبابلية التى التقت مع ما تلاها من حضارات فى هذه المنطقة • ثم جاءت الحضارة اليونانية فكانت قبسا انبعث منه الضوء على حوض البحر الأبيض المتوسط قبل ان ينبعث شمالا فى اوروبا • والحضارة الاسلامية بدورها عرفت كيف تعمر فى صقلية وشمالى افريقيا والاندلس • واذا كان الحكم العثمانى يعد امتدادا لهذه الحضارة ، وان قضى على كثير من نشاطها ، فانه انبعث من الاستانة الى بعض بلاد اوروبا الوسطى • واذا اردنا ان نعبر عن بعض معالم هذه الحضارة فاننا نستطيع أن نقول انها روحية عقلية ، تعتد بالروح وتؤمن بطائفة من المبادىء السامية ، وهى فوق هذا انسانية تعول على الانسان وتعتد به • ولا شك فى انها قد غذت الحضارة الغربية الحديثة بغذاء كبير وعن طرق مختلفة • وكم يرجى ان تستعيد بلاد حوض البحر الابيض المتوسط علاقاتها الثقافية على شكل اتم واوضح ، كذلك الذى كان يلحظ فى مدرسة هليوبوليس او فى مدارس اثينا او فى الاسكندرية •

وقد حاول طبيب ومستشرق المانى هو الدكتور مايرهوف ، ان يوضح هذا المعنى برسالة صغيرة وضعها عنوانها « من اثينا الى الاسكندرية ومن الاسكندرية الى بغداد » •

2 ـ ما هى فى نظرك منزلة العقل اليوم فى المجال الفكرى والثقافى للعالم العربى ؟

ليس هناك مجتمع يسير وراء الهوى وحده او العاطفة وحدها وانما تتفاوت الجماعات نسب تبادل الرأى واللجوء الى العقل فيما بينها • وأشد المجتمعات جموحا أكثرها ادعاء بانه انما يصدر فى تصرفاته عن العقل والمنطق • ومن المغالاة ايضا ان يحكم على جماعة فى ضوء ظرف معين او تصرف خاص ويقال انها جماعة معتدلة او متطرفة • فقد تكون هناك ظروف ما تحمل المجتمع الهادىء الرزين على الثورة والهياج بل وعلى استنكار العقل والعقلاء • اذا صحت هذه القضايا فاننا نستطيع ان نقول انللعقل فى العالم العربى منزلة شبيهة بمنزلته فى المجتمعات الحضارية الاخرى•وكل ما هنالك انه قد تمر به ازمات او ظروف خاصة قد يبدو عليه فيها انه لا يستجيب لدعاء العقل لكن ذلك يرجع خاصة الى ظروف هذه الأزمات واسبابها • ومن الانصاف ان تحلل هذه الظروف ويحكم على كل موقف فى ضوء ظروفه • والثقافة العربية المعاصرة غنية بآثار قيمة من انتاج العقل والعمل العقلى • واذا كان أدباء العرب وشعراؤهم يغذون بعض العواطف الوطنية الخاصة ، فانهم انما يغذونها فى حدود العقل والمنطق • على انى اتساءل مع الأسف الشديد : هل للعقل كرامته الكاملة فى مجتمعنا البشرى الحاضر الذى تتسابق فيه القوى الكبرى على وسائل الهلاك والدمار والذى لا يجد فيه القادة مجالا لان يلتقوا ويحلوا امورهم فى انصاف وحكمة • وكانى اتساءل اين هو ذلك العقل الذى نتحدث عنه •

♦ بيروت ـ حول مجلة « شعر »

كتب السيد رجاء النقاش فى مجلة « الاداب » العدد 3 ـ 1962 مقالا بعنوان « هل للشعر العربى الجديد فلسفة » اتهم فيه بالخصوص مجلة شعر ورئيس تحريرها الشاعر ادونيس بالزيغ عن العروبة وعاب عليهما ما سماه بالاتجاه القومى السورى وقد اجاب عن ذلك ادونيس بما يلقى الاضواء على جملة من القضايا الأدبية والفكرية التى لا يزال المفكرون « يتحاورون » فى شأنها فى وطننا العربى الكبير ولعل هذه المقتطفات من جواب ادونيس تلقى بعض الاضواء وتفيد قراءنا بتونس :

1 النقطة التى انطلق منها الكاتب لدراسة « فلسفة » الشعر العربى الجديد مزدوجة الخطأ: قادته ، اولا ، الى استنتاجات واحكام وآراء ليست من طبيعة شعرية • ثانيا ، موهت عليه الحقيقة وحرفته عن رؤيتها • فلسفة الشعر العربى الجديد ، هذا اذا كانت له فلسفة ، لا يبحث عنها فى اتجاه اليسار او غير اليسار ، أو فى الطابع التراجيدى ، او فى الاشكال البنائية • كل ما يمكن قوله فى هذا الصدد شيئان : الاول هو ان للشعر العربى الجديد بعض الخصائص العامة المشتركة، وهى تتعلق فى الشكل اكثر مما تتعلق فى المضمون • والشىء الثانى هو أن فى بعض هذا الشعر حدوسا ورؤى قد تشير الى ان لدى أصحابه عالما شعريا خاصا ، لا فلسفة ، لكن ، قلما نجد عندنا شعراء لهم عالمهم الخاص المتميز بابعاده الجمالية والانسانية والميتافيزيقية • ولعل فى هذه الناحية يكمن النقص الجوهرى فى التجربة الشعرية العربية المعاصرة •

2 ـ هذا الانطلاق لدراسة الشعر العربى الجديد من ضمن زوايا نظر كيفية ، سريعة ، وافقية تتصل بقشرة الحياة لا بجذورها ، ادى بالكاتب ، طبيعيا ، الى مثل الاستنتاجات الغريبة فى مقالته والاحكام الاكثر غرابة ، وخصوصا فيما يتعلق بمجلة « شعر » وبنتاجى انا شخصياء اذ ماذا يعنى بقوله ان مجلة « شعر » تعبر عن اتجاه القومية السورية ؟ ما هو قوام هذا الاتجاه ؟ كيف استدل عليه ؟ ما هى النصوص التى بنى عليها احكامه ؟

كل مجلة تعبر عن اتجاه معين ، عن ايديولوجيا معينة تلزم نفسها بمنهجية وقواعد صارمة ازاء ما تنشره وازاء الافكار البعيدة عنها او المتناقضة معها • هكذا نرى فى المجلات والصحف الشيوعية • هكذا نرى فى المجلات والصحف ذات الطابع القومى العربى اليسارى او الحزبى • هذه المجلات والصحف لا تنشر الا لاشخاص فى اتجاهها او لا يناقضون اتجاهها ، والا نصوصا تؤيده او تنسجم على الاقل ، معه فى خطوطه العريضة • فهل هذا الموقف ينطبق على مجلة « شعر » ؟ يكفى لمعرفة الجواب تصفح اعدادها منذ صدورها • سياسة التحرير فى مجلة « شعر » كما هى معلنة ، لا تتناول راى الشاعر السياسى وافكاره الوطنية والاجتماعية والميتافيزيقية ولا مضمون قصيدته ، بالتالى ، انما تعنى فقط بالمستوى الفنى او بمعنى آخر ، بمستوى التجربة• فى سبيل الحفاظ على خطة التحرير هذه ، تحملت مجلة « شعر » خلال السنوات الخمس الاخيرة ما لم تتحمله اية مجلة عربية فى اى وقت ـ نشرت لشعراء شيوعيين ومنعت لذلك فى بعض البلدان العربية • نشرت لشعراء قوميين ومنعت ، لذلك ، فى بعض البلدان العربية ، قيل لها ان تساير فلا تنشر لبعض الشعراء كى يتاح لها الدخول الى البلاد العربية كلها ، فرفضت هذه المساومة • من ناظم حكمت وكاتب ياسين وسعدى يوسف وبلند الحيدرى ، الى بدوى الجبل ونازك الملائكة وفدوى طوقان وسلمى الجيوسى ونزار قبانى الى محمد الماغوط وتوفيق صايغ وابراهيم شكرالله وجورج غانم وخليل حاوى وعشرات الاسماء الاخرى ـ حشد متنوع الاراء والاتجاهات ، يلتقى للمرة الاولى فى تاريخ المجلات العربية ، على صعيد الشعر فى مجلة « شعر »

3 ـ هذه الناحية الاخيرة ، اعنى التكلم على بعض النتاج الشعرى الحديث بنفس سياسى وافكار سياسية مسبقة ، هى وليدة ذهنية معينة بالغة الخطر • وهى تتجلى فى التهم التى يوزعها البعض باسم العروبة وكانها ملكهم الخاص وورثاؤها والامناء عليها ، من دون غيرهم •

ليست العروبة درجات يوزعها معلم على تلاميذه ، ليست خلعة تخلع على اناس وتحجب عن آخرين ، ليست سرا يرثه امام « معصوم » ويورثه من يشاء . ثم ان الشعر العربى شىء والعروبة شىء آخر ـ ولا علاقة بينهما ، على الصعيدين الشعرى والجمالى .

العروبة واقع حياتى وتاريخى ، وهى ، كواقع ، وجـود يشترك فيه جميع العرب فى مختلف اقطارهم ويمارسه الجميع . والجهد الاساسى الذى ينبغى على المثقف العربى ان يقوم به فى هذه المرحلة ، ليس ان يحمل مجهرا ليكتشف به درجة العروبة فى كل شخص ، فهذه مسألة زائفة ومصطنعة اصلا . ثم انها تندرج فى اساليب السياسة والغوغاء . جهد المثقف العـربى هو ان يخلق مناخ الحرية ، حيث تنفتح الحقيقة وتنمو فى حوار فكرى حى ، حيث يكون الفكر سيد نفسه حيث ينشأ عندنا اخيرا الشخص العربى الذى يقول : لا ، بنفس الثقة والقناعة والجرأة التى تدفعه ليقول : نعم ـ لكل شىء ، لله والحاكم والعالم .

الا يعلمنا تاريخنا العربى شيئا ؟ اليس حـريا بنـا ان ننذر ، نحن هذا الجيل خصوصا ، حياتنا كلها . للتكفير عن الف سنة من تاريخنا الاخير لم نعرف فيها الحرية ؟ اذا كان العربى فى هذه المرحلة لا يناضل ، لا يتعذب ، لا يتمزق ، لا يكابد اقسى شىء فى سبيل توكيد الحرية التى هى الشرط الاول ليصير الانسان انسانا ، فمتى يفعل ذلك ؟

هناك خطر حقيقى لا يهدد الشخص العربى فحسب ، بل يهدد ايضا الثقافة العربية كلها ـ يهدد المعنى العربى بالذات . يتجلى هذا الخطر فى تلبس الصراع الفكرى فى فتـرات تاريخنـا السوداء . فبعض المثقفين العرب ، لعلة او لاخـرى ، يحيون ـ شعوريا او لا شعوريا ، بعض أشكال الصراع الفكرى التى خنقت الثقافة العربية لاسباب كثيرة يعرفها الجميع . هذه الاسباب يبعثها هؤلاء المثقفون فى اصباغ واردية حديثة . بـل ان بعضها باق كما كان منذ الف سنـة واكثر . وبدل ان ياخذوا العبرة من هذا الصراع وما ادى اليه فيكملونه بما يعزز الفكر ويعزز الانسان وكرامته وحريته الشخصية والتعبيرية ، وبما يتيح المجال للبحث عن الحقيقة خارج كل قسر واكراه ، ينصرفون ، ويا للاسف ، الى اكمال هذا الصراع بما لا يؤدى الا الى تشويـه الحقيقة وخنقها ، وبالتالى ، الى تشويه الانسان نفسه والفكر نفسه . هكذا يتحول المثقف العربى اليوم الى عصا والى سيف ايضا فى يد السياسة واهوائها . هكذا يصير ، بشكل او آخر ، آلة الطغيـان والطاغيـة .

اخيرا اريد ان أؤكد للسيد النقاش ولقراء « الاداب » اننى لا اعبر فى شعرى عن « اتجاه قومى اقليمى » او « ايديولوجيا » او « ارض مفقودة » فمثل هذه العبارات لا تعنى لى على الصعيد الشعرى الخالص ، اى شىء . لست فى شعرى حزبيا او منضويا . الانسان « كحيوان سياسى » او كمنضو هو آخر ما يثيرنى شعريا . احاول فى شعرى ان اعنى بالانسان ككائن فحسب ـ كموجود . اننى شاهد عـلى هذه الارض ، لكننى شاهد ايجاب لا سلب وحـركة لا جمود . هكذا لى نظرة وموقف . موقف من الانسان والله والحياة والعالم ونظرة الى ذلك جميعا ، موقف حضارى لا قومى وانسانى لا سياسى .

• روسيـــــا

حـول مفهـوم الالتــزام

شدة خوف الكتاب الروسيين وسوء حالهم فى عهد سطالين

(نقـلا عن « الجـريدة الأدبية » لسان حـال الكتاب الروسيين)

وجهت « الجريدة الادبية » نداء الى الكتاب والشعراء الروسيين لدعوتهم الى شن معـركة جريئة ، حاسمة لتحقيق الحرية والصدق فى القول . وقد نشرت هذه الجريدة ، لسان حال رابطة

الكتاب الروسيين ، مقالا افتتاحيا للاديب الاكريني اولس قونطشار عبر فيه بكل دقة ، عن النظرة الحالية فى بعث الادب الروسى بعد المؤتمر الثانى والعشرين للحزب الشيوعى •

فقد تولى كاتب الفصل الدفاع بكل حماس عن زملائه من « الجيل الصاعد » الذين يعملون كما قال ، على الابتكار والتخلص من الجمود وان كلفهم ذلك المجاهرة بنقمتهم على كل قديم والعزوف عن القوالب المزيفة التى ما يزال الادب الروسى مكبلا بها •

ثم بعد ان ذكر السيد قونطشار بما كان يقاسيه عالم الادب فى عهد سطالين شنع خاصة « بالابادة البشرية » التى ذهب ضحيتها عدد كبير من الكتاب والشعراء الماهرين الذين يحق الاحتفاء بذكراهم وان لم يعوضنا ذلك الخسارة العظمى التى لحقت الادب الروسى بزوالهم •

ويقول قونطشار فى هذا الفصل نحن ما نزال نذكر جو الريبة والشك والظلم الذى كان سائدا فى عهد سطالين • نحن نعلم ان حرصه على حمل الناس على عبادة شخصه قد كبل الفكر الخلاق واذكى روح الحقد والبغضاء فى الاوساط الادبية ببلادنا مما جعل مثلا كاقانوفيتش ذلك الجاهل المتحامل يجد فى قصيد ساذج مثل قصيد « انا ابن بلاد السفيات » بعض الاشارات الاثيمة لقذف صاحبه بالميل الى الانذال فى باتليورا!

ثم يؤكد الكاتب على انه بالرغم عن ذلك برز فى ذلك العصر بعض الكتاب ممن يثق الشعب بهم وذكر على سبيل المثال ماياكوفسكى ثم دعا الكتاب والشعراء الى عدم التردد للدخول بانفسهم فى معركة جريئة مجردة لاجلاء الحق •

وقال نحن فى حاجة اكثر من اى وقت مضى الى الاشعار الصادقة الصادرة مباشرة عن القلب تلك التى لا تكتفى بالتمجيد والتسلية فحسب بل وتكافح بكل صدق وشجاعة كل ما فى الحياة من قبح كما كان يفعل ماياكفسكى •

ثم يواصل قونطشار قائلا : يجب ان يبرهن الشاعر شخصيا على قوة ارادته وشجاعته فسر قوة شعر ماياكفسكى يرجع الى قوة شخصيته • ومن المؤسف اننا كثيرا ما نفصل بين التفكير والاحساسات الشعرية وبين صاحبها • فينشأ عن ذلك نوع من الشعر المصطنع • فلا نقدم للقراء افكارا لا طرافة فيها واحساسات لا روح داخلها • فالبطل الذى لا يصور شخصية الشاعر لا يعرف كيف ينبغى ان يعيش بصفة ايجابية • ولا يسمح للقراء بالتامل فى وجودهم الشخصى بل هو يمسك بأيديهم كما نمسك بايدى الاطفال عند التجول بهم ، ويسير بهم خلال مسالك الحياة التى قام بتعبيدها من قبل وازال عنها كل العراقيل •

ثم عند الحديث عن « الموضوع الابدى » و « الموضوع المعاصر » آخذ الكاتب نقاد الادب على تفضيلهم غالبا « للمواضيع المعاصرة » متعللين بأنها هى التى تترجم بكل صدق عن العصر الحاضر، ثم قال : ومع ذلك الا تظنون ان « الموضوع الابدى » هو تمجيد للجمال البشرى وعظمة الانسان الروحية ؟ • الا تظنون انه تعبير عن مشاعر ابدية كالحب ، والفرح ، والسعادة ، والصدق ، والشرف ، والصداقة ، والصحبة ، والامانة الخ ••؟ اليستكل تلك الصفات قيما جميلة ومتجددة لا يمكن لنا ان نتصور الرجل فى المجتمع الشيوعى غير متحل بها ••؟

اما فى خصوص المساجلات الادبية المتواصلة حاليا فى بلاد الروسيا عن الشعراء والكتاب المحدثين الذين يبحثون عن « طريق جديد » فيقول الكاتب ان بعضهم يتقبل هذا « الشعر الجديد » من دون تحرج باعتباره « شيئا عاديا كانت روح القارىء فى انتظاره منذ زمن طويل » ويرى البعض فى ذلك « هراء عقيما يدعى الابداع » وما القصد منه الا « الصاق وصمة مشينة ببعض الادباء الشبان »

ثم يختم الكاتب مقاله هكذا : « ولا يسعنا الا الابتهاج بأن كل ما يكتبه شبابنا الادباء تحدوه روح من الجراة مع سعى للبحث عن القالب والاسلوب والنغم الملائم » .

• يـــوغـــوســـلافيـــا

مقـاطع مختـارة بقـلم : ايفو أندريك

(جائزة نوبل للأدب 1961)

... كنت أخاف حتى من دمى الذى كنت أسمعه ينبض فى معصمى ، لانه كان يؤكد لى اننى احيا ، وكان ذلك جلجلة حقيقية .

وكنت أفكر : الله لا يستطيع الا يطلب ان نمتحن كثيرا وان نقاد الى مكان الهول هذا ، حيث الموت والحياة واحد . اذاك ايضا ، حتى فى اوج التواضع ، لم أكن استطيع ان اعرف لماذا لم يعط ، بين المخلوقات جميعا ، الا للانسان ان يكره حياة .

* * *

منذ يومين لا يسمح لى بالخروج حتى فى ساعة النزهة الوحيدة هذه ، فالمطر لم ينقطع .

ويبدو لى ان الرطوبة تنفذ دون انقطاع الى زنزانتى وانها تسقط على وجهى ويدى كنفاية لزجة . غطائى خشن وبارد ، وللطعام الذى اتناوله طعم الصحن الحديدى ولزنزانتى هذه الرائحة التى لا توصف ، رائحة الأماكن الضيقة التى يتنفس فيها الانسان ويحيا دون تبديل او تهوية .

لكن هناك ، خلف أجفانى ، منذ ان اطبق عينى ، تحيا عظمة الحياة كلها وجمال العالم كله. فكل ما احسست به عيناى وشفتاى ويداى حى ومضىء فى أعماقى ، فى قاع هذه الجلجلة ، المظلم. ان غنى الحياة وجمالها يعيشان فى نفسى ولا يمكن ان يتهدما فيها .

والآن وقد فقدت هذا كله ، يملأ روحى اعتراف لا نهاية له بهذه الهبات الكثيرة العجيبة التى تمنحها الحياة لأولئك الذين هم اكثر سعادة منى . من أين يأتينى هذا الاحساس الخارق ؟

اعبر خلاله ، كما اعبر خلال الهدوء الاخضر الداكن والصمت المعطر فى غابة من الصنوبر، نهار صيف . وانسى كل شىء حولى .

* * *

أثلجت ، الليلة الاخيرة ، بشكل خاص . لم تكن لدى طاقة على النوم ، وتملكنى نوع من الغضب ضد نفسى و... فكرت بالانتحار . فى اللحظة ذاتها خجلت وندمت ، لكننى كنت أفكر طويلا وعميقا . كنت افكر ، بنوع من الحماس السوداوى ، بالموت الذى هو شىء رائع ، سهل وجميل ، لكنه شىء لا يجرؤ ان يكون . وكان عدم جرأتى ان اموت يؤذى شعورى المتقلت كما يؤذى نوع من الواجب الصارم الثقيل ، وكالظلم تقريبا .

لم أستطيع ان اتدفا ، لكننى اخيرا جمدت كليا من البرد ، ونمت فى الم مفرد لا مثيل له. حين استيقظت كان ذلك بالنسبة لى كما لو اننى ولدت مرة ثانية . وكانت هذه اقسى ليلة فى حيـاتى .

* * *

قبل الفجر بلحظات توقف الثلج . وخيم فوق الغابات صمت وعالم رطب أبيض من الثلج العالى ، العالى . غطى الصنوبر فبدا كأنه كنائس صغيرة من الرخام ، وملأ الممرات حتى أصبحت بيضاء ناصعة لا يسار عليها .

الى أين ، يا هيلين ؟

صمت وظلام • (انه لصعب السير في الثلج في هذا الوقت المتأخر •) لا السماء تبدو ولا الشمس المرهقة • الالوان انطفأت ، ومات الصوت • كـل شيء صامت ، أبيض ، نائم بشكل لا يوصف •وحينما ينكسر ، في اقاصي الغابة ، غصن تحت الثلج ، فكأنما يتقصف جذع أكبر الاشجـــار •

الى أين ، يا ايلين ؟

ثلج هذه الغابات يجمد النفس ، ويخثر الدم ويزرع الشحوب في الجلد•وها هو قبر كل أثر وكل ذكرى •الاقدام تعبانة والايدى الصغيرة الحمراء باردة كالصقيع • لقد غطى الثلج من جديد قبور هذا الصيف ـ كفن الاحياء والموتى •

هيلـين ، هيلـين !

* * *

يا رجال المستقبل ، ايها الاطفال الاحرار يا فجر ليلنا ، حين تبنون بيوتكم الحـرة العالية تحت السماء ، التي شهدت جلجلتنا وعارنا وموتنا ، لن يفكر أحـد ان هذه المـؤسسات الراسخة ترتكز على عظامنا • السعادة لا تبالي ، ولا تفكر الا في الغد •

ماذا سيذكركم بالآمنا التي كانت في المعاناة اكبر منها في الكفاح ؟

ستكون حياتكم نسياننا •

نادرا ما ستلمع في الدموع اللاشعورية لنسائكم ، واندفاعات فتيانكم واحلام فتياتكم ، وفي كلمات شعرائكم ، ذكرى آبائكم الذين كانت حياتهم قصيرة لكن الهم كان عظيما • وربما يندر ان يشعر المتازون بينكم ان الكآبة اللانهائية للحياة الخرساء الميتة التي عاشت وماتت من اجلكم ، يا ابناء المستقبل ، تهب كالريح ، في كل يوم •

انني ارى ، يا رجال المستقبل ايها الجيل السعيد ، كم هي رديئة وسيئة رغبتي بالحياة في مجد حريتكم وجمالها •

هكذا يجب ان يكون ذلك :

ستكون حياتكم فيضا وفـرحا كالحصاد والثمر في الخريف ، وحياتنا تمر ، كبيرة ، قاسية ومعذبة كالزرع والتعب في الربيع •

كلا ، لا اريد ان اذكر ، فلأكن مجهولا واخرس كالحجرة التي تصمت في البنـاء ، ولأغب دون اثر ودون اسم ولتمض حياتي القاتمة ، الملأى بالخطيئة والعذاب ، دون ان ترمي ظلها عـلى طريقكـم البيضاء •

يدك البيضاء ، يا امرأة ، تقطع روحي كالخبز ، ايقـاع خطواتك وبـريق عينيك الغامض يصرخان في اعماقي ، يدندنان ويهدران ويشوشان افكاري ويحرمانني من النوم •

ظلك ، يا امرأة ، ممدود فوق رغبة الزاهد الخامدة وظما المستهتر ، الجامح ، فلئن ارجعنا جميع افكار هذا العالم وايحاءاته الى مقاصدهاالاولى واسبابها الحقيقية ، فسوف نرى معظمها كامنا ، كما اعتقد ، في تجويف نهديك ، الدافيء •

لا اعرف ، يا امراة ، لمن كنت مطرا صباحيا عذبا ، لكن تدخلين في حياتنا كـوابل تاتي بـه الاعـاصير .

الحكمة هنا ليست علاجا ، ولا تفيد الشيخوخة في شيء ، وحين يصمت كل شيء يظل صوتك عـاليا في دمـى .

يا امراة لا نستطيع ان نراهـا بوضوح ، كما كان انسان ما قبل التاريخ يرى المـراة في الشمس ، لكنك اصبحت رؤيا هائلة واصبحت سم دمائنا ، ونهرب منك ، وحين نظن انك بعيدة تسهرين في افكارنا ، وحين نريد ان ننساك في عملنا ، نكتشف ان في خيوط اعمالنا الرفيعة المتثنية آثارا لاصابعك غير المنظورة .

ماذا يعني خط جسمك ، المتموج ؟ وهذا الجمال الصامت ، الابيض الذي غنى كثيرا ، والذي نطارده باغراء ، كما يطارد الاطفال الفراشات ، فيبعث فينا العذاب ، او يتحول الى مرارة وغم .

(مقاطـع مختارة كتبها المـؤلف بين 1914 ــ 1917

ونشرت في زغـرب عــام 1918)

عن اضـواء

- نشر تعليق مجلة « شعر » على ما ورد في مجلة الفكر من ملاحظات كتبها محسن بنحميدة حول بعض المترجمات الواردة في الزميلة اللبنانية .

انتقد محسن بنحميدة في مجلـة « الفكـر » التونسية العدد السادس شهـر آذار 1962 ترجمات القصائد الفرنسية الصادرة في عدد مجلة « شعـر » الخاص بالجزائر . ونظرا لان الترجمة هي جزء من رسالة مجلة « شعـر » فانها تحاول في نشاطها الترجمي ان تقدم للقارىء العربي أهم النتاج العالمي في الشعر . من اهدافها الرئيسية ان تنقل هذا النتاج بحركته الاصلية شكلا ومضمونا ، واعية ما للترجمة من اثر ، بهذه الصورة ، في اطـلاق نهضة الشعر العربي واغناء خطواته وآفـاقه ووضعه عينا لعين امام تجارب الآخرين .

لتطبيق ذلك تعمد المجلة بالتعاون مع أصدقائها لنقـل النتاج الشعري الـذي تختاره الى العـربية بكميته ولهجته الحقيقيتين . لكن تفوتهـا ، مع هذا ، اشياء بسيطة تكـون قد نوتهـا او لا تكون . منها ما أشار اليه محسن بنحميدة في مجلة « الفكـر » حول كلمة (Nordafs) التي وردت في قصيدة هنري كريا الشاعر الفرنسي الجزائري الاصل ، المنشورة له في عـدد الجزائر الخاص . انها لفظة محلية لا صفة بالمكان الذي يعيش فيه صاحب القصيدة . وهي تخفيف للفظة (Nord Africains) ، وقد تركها المترجم على حالها .

ومنها أيضا ما أشار اليه السيد بنحميدة حول الترجمة بالذات . وهنا يصعب النقاش . لان الترجمة عمل دقيق هائل ، ينبع من الفن ويقتضي الجهد الشديد . والترجمة الشعرية الحديثة تتطلب الجهد واليقظة والرشاقة في الملاحظة . وهي توحي بالتفاتات يصعب على غير المترجم الجيد ان يحيط بها ويطل عليها . والمترجم الشاعر ترتكز مجلة « شعـر » عـلى ترجماتـه اكثر مما ترتكز على سواه وتطمئن اليه ، لانه يستطيع بنفاذه العقل ان يعرف النغمة الباطنية عند زميلـه الشاعر او الاديب الآخر .

وفضيلة معرفة النغمة هذه موجودة في ما قامت به مجلة « شعر » حتى الآن من ترجمات للشعراء : برس ، رامبو ، لوتريامون ، آرتر ، اليوت ، جوف ، سوبرفيال ، لوركا وغيرهم .

ولا ريب انه حالفها التوفيق في معظم ما قامت به . ولكنها لا تدعي العصمة . فبعض ما ذكره السيد بنحميدة من مآخذ صحيح ، ونحن نشكره عليه باسم القارئ . على اننا نستطيع بدورنا ان نجد في ترجمة السيد بنحميدة في عدد « الفكر » نفسه ما يناقض روح الشعر واللغة الشعرية معا من حيث النقل الحرفي والركاكة . من ذلك ما جاء في ترجمته لقصيدة مالك حداد :

« شبح رقبته مرتفعة
ومطر . . . وزوبعة
وعمري في الستة عشر
مدينتي تخاف الغرباء
وتعشق عوائد الفناء »

. . . انها ترجمة بلا روح .

◆ اسست جمعية سينمائية اطلق عليها جمعية الشباب السينمائي التونسي تكونت من عدة افراد مثقفين ، هدفها :

1) الرفع من المستوى الفني السينمائي في تونس .
2) بعث ثقافة سينمائية من خلال ما تعرض الجمعية من افلام مختارة في كل اسبوع وما تنظم من محاضرات .
3) تكوين جمهور سينمائي راق .
4) انتاج افلام تونسية .

◆ **الشبيبة المدرسية**

صدر العدد 4 من « الشبيبة المدرسية » وهي نشرة تصدرها هذه المنظمة التي يعمل تحت لوائها جمع من خيرة ابناء مدارسنا الثانوية . وقد جاء في هذا العدد :

ـ التعليم في الاتحاد السوفياتي	بقلم : العزيز الماطري
ـ تأملات (شعر)	بقلم : الفاضل اللعلاعي
ـ الجاحظ والاضحاك	بقلم : سمير العنابي
ـ مشاكل الطاقة في تونس	بقلم : العربي صراصرة

وغيرها من الابواب القارة

ونحن نشكر القائمين على هذا المشروع الناجح ونشجعهم على المضي قدما الى الامام حتى يحققوا امل الوطن فيهم

◆ « تمجيدا لرفيقنا وصديقنا المرحوم الاستاذ فريد غازي وقد صادمته المنية وسط ابحاثه واشغاله ومداومة لهدفه النبيل في الامانة الذهنية يقترح الاستاذ الفريد مورافياد انشاء جمعية لمثقفين تونسيين وغير تونسيين تكون غايتها القاء محاضرات بكافة انحاء الجمهورية في شتى المواضيع الادبية والتاريخية والاجتماعية والفلسفية . ويمكن تسميتها « جمعية فريد غازي لنشر الثقافة » .

لعلنا نوفق في هذا الدعاء .

• فى صقليـة

علم الشاعر جعفر ماجد ان المستشرق الايطالى ريزيتانو استاذ اللغة العربية بجامعة بالرمو نقل قصيدته (فى صقلية) الى اللغة الايطالية • كما اظهر الشاعر الجزائرى صالح الخرفى عزمه على انشادها فى اذاعة صوت العرب •

• تطور الأدب التونسى المعـاصر

نظمت اللجنة الثقافية التابعة للاتحاد العام لطلبة تونس ندوة حول (تطور الأدب التونسى المعاصر) فى النادى الطالبى ـ نهج علـى باش حامبه شارك فيهـا الأساتذة : محمد الطالبى ومصطفى خريف ومحمد المرزوقى وقد تلت هذه الندوة مناقشة حادة حول قضايا الشعر ومشكلة الالتزام ونحن نستبشر بهذا النشاط الأدبى المتواصل ونرحب بالمناقشات المثمرة

• أمسيـة شعـريـة

نظمت رابطة القلم الجديد يـوم السبت 21 افريل امسية شعريـة شارك فيها الشعراء : عبد العـزيز قـاسم وعـلى بن ضياف وجعفر ماجـد والأخضر السائحى وعبد المجيد بن جـدو ونور الدين صمود

• الطـالب التـونسى

عـادت جريدة الطالب التونسى لسان الاتحـاد العـام لطلبة تونس الى الظهور فى اللغـة العربية • وقد صدر منها العدد الأول حافلا بمقالات متنوعة وقصائد شعرية وعلمنا ان العـدد الثانى تحت الطبع ـ ونحن نرحب بعودة الطالب التونسى الى اللغة العربية ونعتبر هذا العمل خطوة نحو التعريب •

• خيـر الـدين بـاشا

شرع الاستاذ فرحات الدشراوى فى القاء احاديث بالاذاعة التونسية عن المصلح التونسى الكبير خير الدين بـاشا •

• مجلـة القبس

أصدر تلامـذة مـدرسة باردو مجلة جديدة سموها القبس وهى مجلة تلتقى فيها قـرائـح تلامذتنا ونحن نرحب بها ونتمنى لها مزيد تقدم ورقى

• الدراسات العـربية الصقلية

القى الدكتور « ريزيتانو » تحت اشراف اللجنة الثقافية محاضرة قيمة بعنوان « مـاضى الدراسات العربية الصقلية وحاضرها » وذلك يوم الخميس 3 ماى المنصرم •

وقد حضر هذه المحاضرة جمهور كبير من الأدباء والطلاب نظرا لما يتمتع به الاستاذ ريزيتانو المدرس بجامعة بالرمو من شهرة فى العالم العربى عامة وفى تونس خاصة •

وقد تفضل الدكتور ريزيتانو فخص مجلة « الفكـر » بنشر النص الكامل لهذه المحاضرة ونامل ان يتم ذلك فى العـدد القادم •